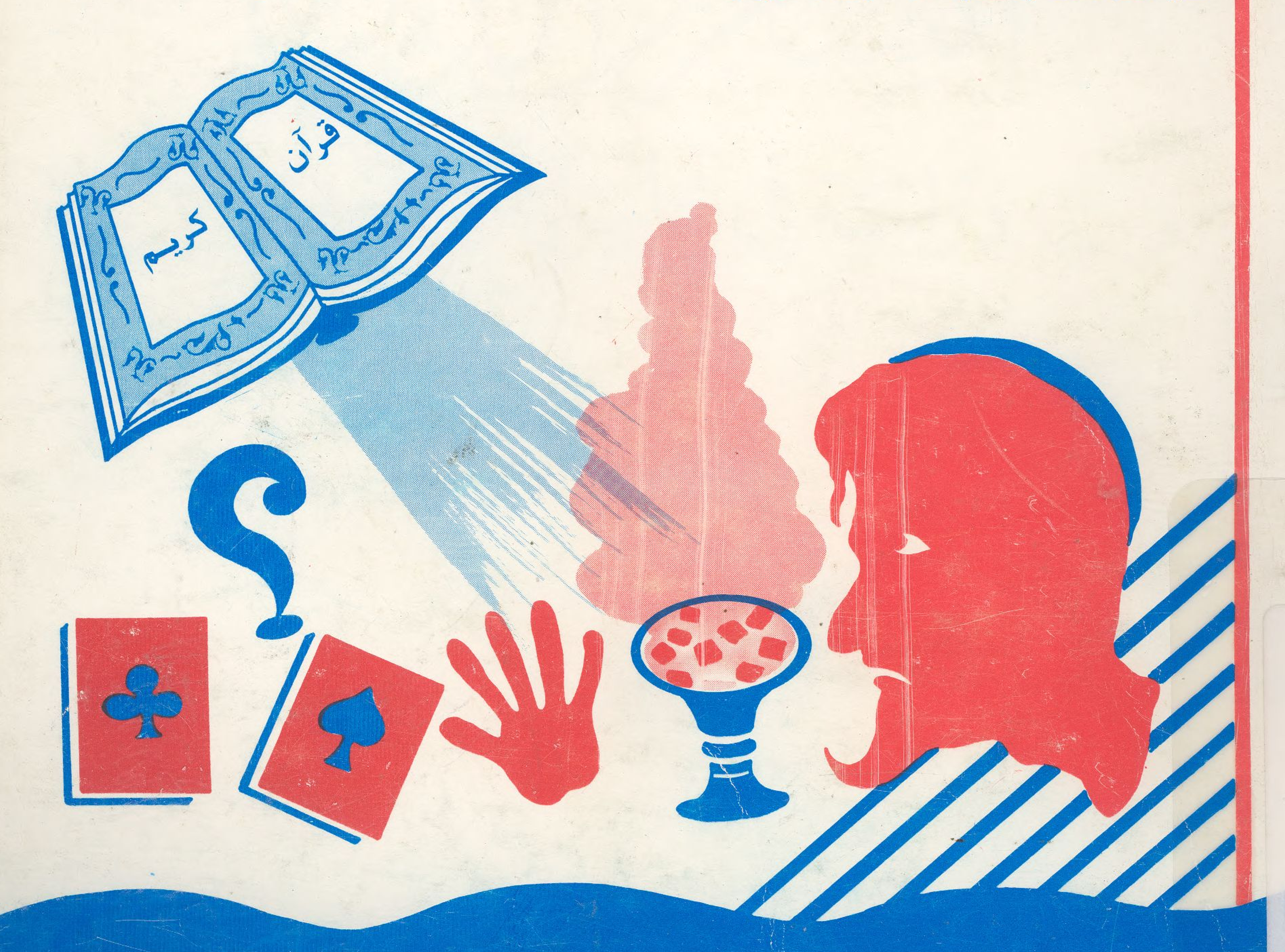
السحر والدين

دراسة في تحليل المضمون

دكتورة سلوى علي سليم
مدرس علم الاجتماع بقسم الدراسات الاجتماعية
كلية الدراسات الإنسانية - جامعة الأزهر

الناشر: مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة ت: ٣٩١٧٤٧٠



دكتورة سلوى علي سليم

مدرس علم الاجتماع ـ كلية الدراسات
الانسانية ـ جامعة الأزهر



الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين
القاهرة ـ تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعـة الأولى

١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر: ٣ ميدان الموصلي
بجوار جامع الأزهر

تليفون ٩٢٥٣٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

« صدق الله العظيم »

إهــــداء

الى ابنائى ..

حســام .. وهشــام ... وبســام .

اهــدي كتــابى هــذا .. ذكــرى ايام
عشناها معا ، على آمل ان نعود ...

د. سلوى على سليم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

السحر والدين .. الدين والثقافة .. الاتباع والابداع ..

كلها قضايا هامة واساسية ما زالت تلح علينا لمعرفة المدى الذى يمكن ان تصل اليه فى تاثيرها على حياتنا ..

والمتامل لكل ما يحيط بمجتمعنا فى مصر والبلاد العربية ، يستطيع ان يدرك عناصر الاستمرار الكامنة فى هـذه المجتمعات ، بمعنى ان هناك بعض العناصر الثقافية القديمة يستمر بقاؤها حتى الآن ويزداد تاثيرها بين آونة واخرى ، ومن هـذه العناصر : ظاهرة السحر ، فجذورها ضاربة فى عهود المصريين القدماء ومعظم أو كل الحضارات القديمة ، وبعض الأعمال السحرية ما زالت بصيغها القديمة موجودة فى كثير من تفصيلاتها كما كانت موجودة تماما فى هـذه الحضارات القديمة .

وقد انتشر السـحر والأعمال السحرية فى أزمنة كان الناس فيهـا يشعرون بالخوف والعجز ، فلجأوا الى السـحر لكى يقاوموا به خوفهم وعجزهم ، والسؤال هو : هل ما زال الانسـان المصرى والعربى ، بالرغم من كل ما يحيط به من وسائل التقدم الحديثة يشعر بهذا الخوف والعجز ؟

واذا كان الأمر كذلك ، فما هى الوسائل التى يمكنه بواسطتها أن ينقذ نفسه من عجزه وخوفه ؟

- هل هى باللجوء الى وسائل سحرية مضادة ؟
- أم باللجوء الى الدين ؟

لقد كانت هذه القضايا تلح علينا ونحن نتأمل استمرار اللجوء الى السحر ، فى مواجهة عجز وخوف الانسان المصرى والعربى ، فكان موضوع هذا الكتاب « السحر والدين .. دراسة فى تحليل المضمون » .

* * *

وقد ذكر السحر فى الكتب السماوية ، وخلفه قدماء المصريون والبابليون والآشوريون والهنود والصينيون وغيرهم فى كتاباتهم ونقوشهم وتماثيلهم وآثارهم ، وحوته سجلات وملفات المحاكم فى انجلترا وفرنسا وايطاليا وبولندا وروسيا وأسبانيا والبرتغال وغيرها ٠٠

وورد فى اعترافات السحرة والساحرات عند محاكمتهم ، وما خلفوه وراءهم من مواد وأدوات ما زالت محفوظة فى المكتبات العامة أو المتاحف(١) ٠

ولكن استمرار بعض العناصر الثقافية القديمة فى ثقافتنا الراهنة يقودنا كذلك الى ضرورة تحديد معنى كلمة « ثقافة » فهى فى العربية مجاز مأخوذ من تثقيف الرمح : أى تسويته(٢) ٠

ولا بد لنا ان نوسع مفهوم الثقافة ، اذا شئنا أن نفهم النشاط البشرى على أنه كل مترابط الأجزاء ، وهذا ما يفعله الأنثروبولوجيون ، وحين نسلم بذلك الجانب غير الواعى فى الثقافة ، نستطيع ان نفهم قيمة ارتباط أجزائها الواعية ـ من علم وفن وأدب ـ بالتراث غير الواعى المغمور فى باطن الفرد ، وباطن الشعب ، كما نستطيع ان ندرك العلاقة بين الجانبين ، وما يكون بينهما أحيانا من تعارض -، كتعارض الوعى واللاوعى فى الفرد ، وما يكون بينهما احيانا أخرى من انسجام ، بحيث يستمد الأول من الثانى ، ويجد الثانى تحقيقه واكتماله فى الأول ٠

ويمكن وصف الثقافة وصفا مختصرا بأنها : ما يجعل الحياة تستحق أن تحيا ، وهى التى تجعل الشعوب والأجيال على حق حين تقول وهى تتأمل آثار مدنية بائدة : ان هذه المدنية كانت تستحق أن توجد(٣) ٠

---

(١) ابراهيم محمد الجمل : السحر دراسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية ، القاهرة ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٢ ، ص ٦ ، ٧ ٠

(٢) ت٠ س٠ اليوت : ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، ترجمة د٠ شكرى محمد عياد ، القاهرة ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، بدون تاريخ ، ص ٣٣ ٠

(٣) ت٠ س٠ اليوت : المرجع السابق ص ٩ ، ٣١ ٠

ولكن هل يمكن وجود ثقافة بغير دين ؟

الواقع ان هـذا غير ممكن ، فالدين الواحد يمكن أن يمد ثقافات شتى ، ولكننا لم نعرف حتى الآن ثقافة بغير دين ، اذ من غير الممكن ان تظهر ثقافة ما الى الوجود ، أو تحافظ على نفسها بدون أساس دينى ، اليس ما نسميه ثقافة شعب ما ، ودين هـذا الشعب مظهرين لشىء واحد ، اذ ان الثقافة فى جوهرها تجسيد لدين المجتمع .

السحر والدين والثقافة ، وتغلغل الماضى فى الحاضر ، كلها قضايا تستحق التفكير والتامل ، من حيث تأثيرها فى الواقع الاجتماعى الراهن فى مصر والبلاد العربية ، فمن المعروف ان لكل نظام اجتماعى نسق معين من الأفكار والمعتقدات ، ولا يستطيع اى مجتمع من المجتمعات ان يحتفظ بدرجة من الاستقرار الا اذا كانت معتقداته التى يرتكز عليها ذات فاعلية ، بحيث تصبح قيما اساسية ، يحافظ عليها كل فرد من افراد المجتمع(٤) .

وهـذه المعتقدات لم تنشأ من فراغ ثقافى ، بل انهـا تعبير عن اللاشعور الجمعى ، وهى تعبر عنه تعبيرا نسبيا ، لأنها تتعلق بأى أمر من أمور الحياة اليومية ، وتتصـل اتصـالا وثيقا بأساسياتها(٥) ومقوماتها ، لأنها تقدم تفسـيرا عاما وشاملا للحيـاة الاجتماعية داخل المجتمع ، فالحيـاة الاجتماعية ما هى الا عادات وأساليب لتفكير الأفراد وحركتهم التى يكتسبونها من خلال عملية التفاعل داخل المجتمع ، وعادة ما ينمو تفكير الأفراد من خلال الثقافة العـامة التى ينتمون اليها(٦) .

وتجدر الاشارة الى أن كلا من الأساطير والسحر تعتبر جزءا هاما من المعتقدات التى تتكون عند افراد المجتمع ، وهـذه المعتقدات تنقسم الى

---

(٤) جلال مدبولى : الاجتماع الثقافى ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٣ .

(٥) يوسف ميخائيل أسعد : معتقـدات وخـرافات ـ القـاهرة ـ دار النهضة العربية ، ١٩٨٢ ، ص ١١٥ ـ ١١٨ .

(٦) ELwood. ch. L, The Psychology of human Society, D. Appleton Co. N. Y. 2 ed. 1972, p. 18.

قسمين : معتقدات علمية ، وهى التى يمكن اخضاعها لعوامل القياس والضبط العلمى ، واستخدام الأدلة والبراهين لاثباتها ٠

والثانى : معتقدات شعبية ٠٠

وتؤثر المعتقدات بصفة عامة ، وبشكل فعال على تكوين اتجاهات وآراء وافكار الأفراد ، وهى ترتكز الى حد كبير على مدى ايمان الفرد بها(٧) ٠

وتعتبر المعتقدات الشعبية من أهم العناصر المكونة لأى ثقافة وهى أساس لكثير من الممارسات وأنماط السلوك ، وهى عادة ما تكون حبيسة فى صدور الأفراد ، وهى لا تلقن من الآخرين ولكنها تختمر فى صدور اصحابها ، وتتشكل بصورة مبالغ فيها ، او مخففة ، حيث يلعب فيها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصا ، وهى موجودة فى كل مكان ، سواء أكان ذلك فى الريف أو الحضر ، عند غير المثقفين ، كما توجد عند الذين وصلوا الى اعلى درجات العلم والثقافة ، وهذه حقيقة جديدة نسبيا على البحث العلمى ٠

فقد ساد فى القرن التاسع عشر أعتقاد بأن التفكير غير الموضوعى خاصية مميزة لطبقات معينة هى الطبقات الدنيا او الشعبية ، على حين ان ابناء الطبقات العليا او حملة الثقافة الراقية يتميزون بتفكير علمى موضوعى ، الا انه ثبت فى نهاية الربع الأول من القرن العشرين ، ان المعتقدات الشعبية موجودة بين جميع الفئات بدرجات متفاوتة(٨) ٠

ويحتل السحر مكانة هامة فى المعتقدات الشعبية ، ويظهر ذلك فى استخداماته المختلفة ، والسحر أو التفكير السحرى ، ينشأ عادة ، عندما تتراكم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ، وعندما لا تستطيع الوسائل العلمية والرسمية حل مثل هذه المشاكل ، والحيلولة دون تراكمها ، يلجأ الناس الى السحر ٠

---

(٧) Milton Rokeach; Beliefs, Attitudes and Values San Frarcisco - Jossey Bass Inc, Publiser. 1972, pp. 15 - 17.

(٨) محمد الجوهرى : علم الفولكلور ـ الجزء الأول : الأسس النظرية والمنهجية ـ الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ٠

وقد لوحظ فى السنوات الأخيرة لجوء الناس الى السحر والوسائل السحرية أكثر مما ينبغى ، حيث أصبح ذلك ملفتا للنظر ، وكان ضمن هذا الاهتمام بالسحر والوسائل السحرية ظهور موجة من الأفلام السينمائية ، كان السحر والأعمال السحرية أساس انتشارها ٠

فهذه الأفلام بعضها يطرح افكارا سحرية لحل مشاكل اجتماعية لأفراد فى المجتمع ، واذا كان ذلك يعبر عن العجز المتزايد لثقافة المجتمع فى العمل على حل مثل هـذه المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، فانه أيضا يعبر عن شـكل من اشـكال اليأس والخوف ، وعدم الاستقرار الداخلى لأفراد أو لشريحة غير قليلة من افراد المجتمع ٠

صحيح أن هذه الأفلام قد طرحت الحل الدينى كبديـــل لعـــدم الاستقرار هــذا ، ولكن من المفيد القول أن التركيز على الطقوس السحرية حتى ولو فى اجزاء معينة من هــذه الأفلام ، يدعو كثيرين ممن لم يجدوا حلا لمشاكلهم الى تجريب الحل السحرى ، وهــذا ما يدعو الى القلق ايضا ٠٠ لأن انتشار هذه الأفلام السينمائية يساعد الذين لم يعرفوا شيئا عن السحر ، أن يعرفوا ما كان يجب عليهم الا يعرفوه ٠

وغنى عن القول أن شـيوع هــذا النوع من الأعمال الفنية السينمائية انما يعبر عن واقع اجتماعى ملموس ، لأن السينما ، شأنها شأن الأدب مرآة تعكس صنوفا من الواقع فى شتى صوره ٠

وفى رأينا أن انتشار الأعمال السحرية ، وما صاحبها من ظهور للعديد من الأفلام السينمائية تحتاج الى وقفة متأنية لرصدها وتحليلها ٠٠

وتحليل مضمون بعض هــذه الأفلام ـ وهو الجانب العملى لهــذه الدراسة ـ مثل « الانس والجن » و « التعويذة » فرض علينا معالجـــة المسألة الأكثر اهمية وهى : السحر والدين ـ ليس لأنها قضايا جـــديدة ، ولكن لأن معطياتها الحديثة ، وتأثيرها الكاسح ، اصبح يشـكل منعطفا حرجا فى طريقة ومنهج تفكيرنا ، وبالتالى فانها تؤثر بشـكل أو بآخـر على حياتنا سواء فى الحاضر أو المستقبل ٠٠

د٠ سلوى على سليم

* * *

الفصل الأول

ماهية السحر وآراء العلماء

اهتم علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع بدراسة العلاقة بين السحر والدين ، وكان على رأس هؤلاء العلامة « فريزر Frazer » الذى حاول أن يحدد ماهية هذه العلاقة ثم تبعه « كودرنجتون Codrington » الذى درس فكرة المانا أو القوة السحرية عند الشعوب البدائية ، ثم جاءت المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع وعلى رأسها « اميل دوركايم » و (موسى Mauss » و « ليفى بريل » ، فدرست موضوع السحر بوجه عام .

وقد كان الاتجاه السائد فى دراسة السحر وعلاقته بالدين هو الاتجاه التطورى الذى سيطر على الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية فى أواخر القرن الماضى ، ولذلك اتجه العلماء الى وضع نظريات تفسر نشأة كل منهما ، ودخلوا فى جدل عقلى حول الأسبقية التى يمكن ان تعطى للدين أو للسحر(١) .

فالسحر نوع من السلوك مرتبط ومعتمد على اعتقاد ما فى نوع أو أنواع من القوى والطاقات فوق الطبيعية ، وليس من الضرورى أن يكون السحر مرتبطا بالدين ، ولكن فى كثير من الحالات يتضح الارتباط الوثيق به . ذلك أن الأيديولوجيات التى كانت سائدة فى المجتمعات البدائية كانت مليئة بالقوى الروحية التى يمكن استخدامها للمساعدة على تنفيذ اعمال مرغوبة ، وهى بذلك تكون اساسا طيبا للممارسة السحرية عند المجتمعات البدائية .

وعلى هذا ، فان التفريق بين الدين والسحر فى المجتمعات البدائية

---

(١) عبد الباسط محمد حسن : علم الاجتماع ، المدخل ، الجزء الأول ، القاهرة ، مكتبة غريب ، ١٩٧٧ ، ص ٤٤١ .

ليس سهلا ، لأنهما يعتمدان على الاعتقاد بوجود قوى فوق الطبيعة ، كذلك يلاحظ ان الكثير ممن يمارسون السحر ، هم من رجال الدين ، كما كان السحرة فى أوروبا فى العصور الوسطى يستخدمون نصوصا من الكتب المقدسة(٢) .

والسحر يعتبر نسقا مستقلا من المعتقدات فى القوى غير الطبيعية ، ويلجأ اليه الأفراد الذين تنقصهم معرفة القوى التى لها تأثير مباشر على حياتهم ، وهناك بعض العوامل التى تؤدى الى الاعتقاد فى قوة السحر ، منها الطرق المختلفة التى قد يلجأ اليها المشتغلون باعمال السحر ، كما ان اشاعة جو الرهبة التى يلجأ اليها القائمون بالعمل فى هذا المجال ، تجعل الناس يعتقدون فيه بشدة ، وبأن له فاعلية(٣) .

ويمكن القول بوجه عام أن سلطان السحر يضعف كلما زادت ثمار الأساليب الفنية وضوحا ، الا أن ممارسته تزداد فى اى عصر اذا ما كانت الصعوبات التى تواجه الانسان فى سبيل الحياة وتنظيمها ، تسير بخطى أسرع من اكتشاف الحلول المناسبة لها كما هو الحال فى وقتنا الحاضر(٤) .

والسحر يعنى أيضا مجموعة أساليب تستخدم للتأثير على القوى الطبيعية عن طريق أداء بعض الممارسات الشعائرية التى يعتقد انها تؤدى الى النتائج المرغوبة ، ولا يعتبر السحر فى المجتمع الحديث جزءا من نسق منظم يشتمل على معتقدات وادوار ، ولكنه فى مجتمعات اخرى ، بدائية وتقليدية ، يكون اكثر تنظيما ، فيشغل السحرة حينئذ مراكز متعددة ، ويقومون بأدوار متخصصة ، ولعب الساحر فى مثل هذه المجتمعات دورا لا يختلف كثيرا عن دور الأخصائى فى ميدان الطب والدين .

---

(٢) محمد رياض : الانسان ، دراسة فى النوع والحضارة ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ص ٥٦٣ .

(٣) Peter Hammond , An Introduction to Social and Cultural Anthropology. 3 ed. U. S. A. 1982, p. 335.

(٤) سامية الساعاتى : السحر والمجتمع ، الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ ، ص ١٤٧ .

وجدير بالذكر انه عندما يفشل الدين والعلم فى اشباع الرغبات الانسانية ، وحل المشكلات الملحة ، فقد يحل السحر محلهما ويقوم بدور التوافق(٥) .

والسحر هو محاولة لمساندة التحكم فى البيئة ، والعلاقات الاجتماعية والسيطرة عليها ، باستخدام وسائل لا يمكن بواسطتها قياس العلاقة بين الجهد والانجاز ، كما انه فى الوقت نفسه يتكون من عدد من الوسائل الرئيسية لهزيمة السحرة والمشعوذين الذين يتدخلون فى تحقيق الانجازات المرغوبة او يعترضون عليها(٦) .

واذا شئنا تعريفا للسحر : فهو العمل الذى يقوم به شخص معين ، تتوافر فيه شروط مخصوصة ، تحت ظروف واستعدادات غير مألوفة ، وبطرق سرية غامضة ، وذلك للتأثير على شخص او جملة أشخاص رغم ارادتهم لتحقيق عرض معين له ، أو موصى به(٧) .

والسحر فى الشرع ، هو عزائم ورقى ، وعقد فى الأبدان والقلوب فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ولقد ثبت وجود السحر بالأدلة الشرعية فى الكتاب والسنة ، وقد وردت فى ذكره النصوص الكريمة فى قوله تعالى : « واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر »(٨) .

وقد احتل السحر ركنا كبيرا فى النصوص الدينية التى خلفها قدماء المصريين ، ولعل من المستحيل تقريبا أن نميز عندهم بين الترانيم والصلوات من جهة ، وبين التعزيمات والصيغ السحرية من جهة أخرى . هذا بالاضافة الى أن الكثير من المركبات الطبية ، كانت مشفوعة بألغاز سحرية .

---

(٥) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ ، ص ٢٧٥ .

(٦) عبد الهادى الجوهرى : معجم علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ ، ص ١٢٤ .

(٧) ابراهيم محمد الجمل : مرجع سابق ، ص ٤٢ .

(٨) عبد الرحمن الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ، المملكة العربية السعودية ، عكاظ ، ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، ص ٥٨ ، ٥٩ ــ والآية من سورة البقرة : ١٠٢ .

ولهذا سيطر السحر على المصريين القدماء سيطرة بالغة ، وكانوا يستعينون به في كافة شئونهم الدينية والدنيوية معا ، وقد مارس السحرة جميع انواع السحر بمختلف صوره التى عرفها العالم القديم ، او المتداول منها حتى الآن ، ابتداء من التعاويذ والطلاسم ، وكتابة الأحجبة بأنواعها ، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية والرقى(٩) ٠

* * *

وعادة ما كان يقوم السحرة فى المجتمعات البدائية بعدد من الطقوس لاستجلاب المساعدة المطلوبة من القوى والأرواح بما فى ذلك تقديم الأضاحى والقرابين ، وكان لبعض الأرواح والآلهة نهم الى القرابين البشرية ، مثلما كان الحال فى مصر الفرعونية (عروس النيل ، استرضاء لاله النيل لكى يفيض النهر فى موعده) ٠

ويبدو أن المجتمعات السامية القديمة كانت تمارس ايضا تقديم الأضاحى البشرية فى اوقات معينة ، واستبدلت هذه الأضاحى بالفدى ، على نحو ما ورد فى الكتب المقدسة ، وعلى الرغم من أن الأضاحى البشرية كانت جزءا من العبادات والطقوس ، فان لها ايضا ذلك المدلول السحرى من اجل الحصول على رضاء الأرواح أو الآلهة ، أو لمساعدة المجتمع فى أوقات معينة(١٠) ٠

ويدخل هذا ضمن التفكير الخرافى الذى يستند الى أسباب غير طبيعية ، لتفسير أو حل مشكلات طبيعية ، فيعزوها الى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها او التحكم فيها ، ومعنى ذلك ان الأسباب او العلل التى يستنتجها الانسان فى هذه الحالة ، لا ترتبط ارتباطا أصيلا بالمشكلة التى يحاول تفسيرها أو ايجاد حل لها ، وعادة ما يميل الفرد الى قبول الخرافة طمعا منه فى اكتشاف الحجب ، وتوضيح الغامض ، أو محاولة الدفاع عن النفس ، ودرء الأمراض والأخطار وما لا سبيل الى معالجته عن طريق العلم(١١) ٠

---

(٩) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ ٠

(١٠) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٤ ٠

(١١) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ٦٣ ٠

فيلجأ الى السحر والشعوذة لحل ما يعترضه من مشكلات ، مؤمنا بأن هـذا هو الطريق الذى يمكن ان ييسر له بعض ما يعانى منه . ولهذا فمن العسير ـ ان لم يكن مستحيلا بالنسبة لمعارفنا الحديثة ـ ان نتفهم او ان نفسر الدلالات المختلفة لكثير من المعتقدات التي ترتبط بالزمن او بالمكان او بالحدود التي تفصل بين الأشياء ، او ما شابه ذلك من موضوعات ، فقد انبثقت كثير من هـذه المعتقدات من فهم الانسان البدائى . ففى كل مكان من العالم الغامض الذي يحيط به ، نجد انه كان شـديد الاحساس بالقوة الظاهرة والخفية ، وعلى الرغم من أنه كان يشعر بتأثيرها من حوله ، فانه لم يكن يستطيع ان يفهمها فهما واضحا(١٢) .

فيتوسل الى القوى العليا كالآلهة او الشياطين ويسترضيها بواسـطة الأضاحى والقرابين ، ويستعين بها للحصول على البركة ، ولتحقيق اغراضه من العمليات السـحرية التي يمارسها . ويعرف التراث السـحرى آلاف الصيغ والدعوات للعن القوى الشريرة ، أو استرضاء القوى الخيرة ، واستعدائها على البشر ، كذلك تستخدم الأحجار والنباتات والحيوانات والنجوم والأشكال والصور والكلمات والتراتيل والأفعال فى هـذا الصدد للتأثير ـ فوق الطبيعى ـ على تلك القوى فوق الطبيعية واخضاعها لارادة الانسان او اتقاء شرها(١٣) .

والسحر فى الغالب يراد به مصلحة خاصـة او الحاق الضرر ببعض الأعداء ، ويعمد فيه السـاحر الى الوسائل غير المشروعة ، وتستخدم فيه أرواح منقطعة للأذى والضرر ، وتعودت ان تستجيب لمن يؤدى لها الأجر ويتقدم لها بمراسم الشعوذة والأعمال الخفية(١٤) .

* * *

---

(١٢) جلال مدبولى : مرجع سابق ، ص ١١١ .
(١٣) محمد الجوهرى : الفلكلور ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .
(١٤) عباس محمود العقاد : ابليس ، بيروت ، منشورات المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ، ص ٣٤ .

آراء العلماء فى ماهية السحر

هناك آراء متعددة لعلماء الاجتماع فى تحديدهم لماهية السحر ، ويرجع ذلك الى اختلاف وجهات النظر فيما بينهم ، الا ان هذا الاختلاف لم يكن عميقا ، اذ انحصر فى الأمور المتصلة اتصالا وثيقا بفكرة وفاعلية السحر ، وما يكمن وراءه من اتجاهات دينية ، تحدد معالمه ، فى اطار التركيب المورفولوجى العام للجماعة والمجتمع .

ولهذا نجد تعريفات متعددة ، وسوف نكتفى هنا بذكر بعضها - على سبيل المثال - لكى نقف على الاتجاه العام الذى يسير عليه علماء الاجتماع فى تعريفاتهم لهذا الموضوع .

● السحر عند ابن خلدون :

يميز ابن خلدون بين الدين والسحر من حيث طبيعة الدين من ناحية ، وطبيعة الساحر من ناحية اخرى ، وذلك بقوله : « ولنقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر ، وذلك أن النفوس البشرية وان كانت واحدة بالنوع ، فهى مختلفة بالخواص ، وهى أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع ، لا توجد فى الصنف الآخر ، وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها ، فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ، ومخاطبة الملائكة عليهم السلام ، عن الله سبحانه وتعالى - كما مر - وما يتسع فى ذلك التأثير فى الأكوان ، واستجلاب روحانية الكواكب ، للتصرف فيها ، والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية . فأما تأثير الأنبياء ، فهو محدد الهى ، وخاصية ربانية ، ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية وهكذا ، كل صنف مختص بخاصة لا توجد فى الآخر »(١) .

ويقول البصر فى كتابه « الحصون » : كذلك قد ورد فى بعض

---

(١) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

النصوص القرآنية ، والأحاديث النبوية الشريفة ، ما يفيد أن للسحر حقيقة وآثار فى الخارج . وقال العلماء : ان من السحر ما يوجد له حقيقة وآثارا فى الخارج مثل : قلب بعض صور الحيوان الى صورة أخرى ؛ وقتل الحيوان ، والأضرار ببعض الأجساد ، وذلك ناشئ اما عن خاصية فى نفس الساحر خصه الله تعالى بها ، أو عن استعمال الساحر بعض الرقى والعزائم ، ولكن كل ما يحدث من آثار ذلك فى الخارج هو بمحض خلق الله تعالى ، وتلك الخاصية فى الساحر الذى يقوم بأعمال السحر ، واستعماله بعض الرقى والعزائم ، ما هو الا من الأسباب العادية التى جرت عادة الله تعالى فى احداث مسبباتها عندها ، وليس الساحر خالقا لشىء من تلك الآثار .

ومن السحر ما لا أثر له فى الخارج حقيقة ، وانما يخيل عنه فى نظر الرائى وفكره صورة وهمية متخيلة يظن الرائى لها أنها موجودة ، والحال ليس كذلك ، وتلك الصور الخيالية تحدث اما بواسطة أعمال كيماوية ، أو باستعمال النواميس الطبيعية ، كالاضاءة ، فيرى الانسان اثرا فى الخارج ، لا حقيقة له ، واما بوسائط اخرى كسرعة العمل وغير ذلك(٢) .

وترى الدكتورة نبيلة ابراهيم : إن الممارسات السحرية تهدف فى عمومها الى الحفاظ على نوع من التوازن فى علاقة الانسان مع الظروف الطبيعية والاجتماعية المحيطة ، وهى فى ذلك عملية إبداعية لخلق الشروط الضرورية للوجود الانسانى(٣) .

ويرى «روجرباستد» فى كتابه «مبادىء علم الاجتماع الدينى» أن تعريف السحر ليس بالأمر اليسير ، وشأنه فى ذلك شأن تعريف الدين ، لأنه عندما تنتصر ديانة على ديانة اخرى ، فمن عادة الديانة المنتصرة ان تصف شعائر الديانة المنهزمة بأنها شعائر سحرية ، ومن جانب آخر تختلف أساليب

---

(٢) عبد الرحمن الجريفى : مرجع سابق ، ص ٦٦ .

(٣) نبيلة إبراهيم : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٤ ، ص ١٩٢ .

السحر من بلد الى آخر ، فالساحر فى مصر القديمة كان يستخدم السحر ليصل الى نتائج مرضية(٤) ٠

فقد كانت الكلمة التي يستخدمها المصريون القدماء لنجاح سحرهم تدعى (HE KAW)وقد وجدت منقوشة على التعاويذ والطلاسم والجعارين ، وغيرها من آثارهم ، كما وجد بورقة البردى التى تحمل رقم ١٢٢ ، والمخطوطة في المتحف البريطانى بعض التلاوات والرموز السحرية التى كان السحرة المصريون يستعينون بها فى اعمالهم وطقوسهم(٥) ٠

فقد كانوا يلجاون الى السحر لمغالبة الأرواح الخفية ، واستعان بعضهم مثل رمسيس الثانى باصحاب التمائم والتعاويذ لمداواة أهل بيته ، ولم يفعل ذلك جهلا منه بالطب ، ولا تعظيما منه لقدر السحر ، ولكنه فعله ايمانا منه بضرورة اختيار الترياق من جنس المرض ، ولكل شيء آفة من جنسه ، كما قيل من قبل ، ويقال فى كل زمان(٦) ٠

ومن معتقدات السحر عند قدماء المصريين : ان لكل آدمى قرينا من الجن يلازمه فى الحياة ، ويتبعه فى الموت ، وقد نصت برديات السحر على وجود الجان وعلاقتهم بالبشر ، وملازمتهم للسكان فى بعض الأحيان ، وما يمكن عمله لارضائهم واتقاء شرورهم ، ولهذا احتل السحر ركنا هاما فى النصوص الدينية التى خلفها قدماء المصريين(٧) ٠

ويضيف « باستد » الى ذلك : ان السحر عند البدائيين كان ينطوى على تجارب ماهرة ، وخاصة بالأدواء والسموم ، وتمثل هذه التجارب فى نشاتها عددا كبيرا من الملاحظات ، ولكن معارف البدائيين لم تتقدم فى فهم ذلك ، فالزنجى فى وقتنا هذا يعتقد بان عصارة للنبات فى ذلتها

---

(٤) طه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسفتها ، بيروت ، مكتبة الحياة ، ١٩٦٣ ، ص ٢٠٨ ٠

(٥) ابراهيم محمد الجمل : السحر ، دارسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٣٦ ٠

(٦) عباس محمود العقاد : ابليس ، مرجع سابق ، ص ٥٦ ٠

(٧) سامية الساعاتى : السحر والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٣٥ ، ٣٦

ليست هي التي تميت وتشفي ، بل يرجع ذلك الى أحد طقوس السحر الذي يخلع على النبات طابع القدسية .

ثم يقول : اذا أردنا أن نعثر الآن على التفكير السحري ، أو ما يشبه أن يكون صدى له ، فمن الواجب الا نتجه صوب العلم ، بل يجب أن نتجه صوب الموسيقى والشعر ، فالترنيم هو نفس الأساس الذي قام عليه السحر ، فمن المهم - كما يقول المصريون القدماء - ان يكون الصوت (مضبوطا) لأن الصوت هو الذي يثير القوى الخفية(٨) .

ويرى «ليفي بريل» : ان السحر لون من التفكير الديني ، خاص بالحياة الجارية ، وما فيها من عقبات ، يراد التغلب عليها ، ويتأثر عادة بالأصول العامة للدين القائم في المجتمع ، بينما التفكير الديني عند المتأخرين ، خاص بما هو اسمى وارقى من هذا ، اى أرقى من الغرض النفعي ، لأنه يتعلق بكيان المجتمع نفسه ، وكيان جميع أفراده ، لا بعض الأفراد ، من السحرة وعملائهم ، فكل منها يؤدي وظيفة اجتماعية معينة ، والوظائف الاجتماعية يجب الا يتم النظر اليها من حيث ان احداها سابقة والأخرى لاحقة .

فهذا الاتجاه ، اتجاه فلسفي بعيد عن العلم ، لأن العلم - وعلم الاجتماع بوجه خاص - يقول بتلقائية الظواهر الاجتماعية ، اى بوجودها معا ، وبترابطها وتلازمها ، ومن هنا جاء الفهم الاستاتيكي للمجتمع البشري(٩) .

ويرى « ادوارد تايلور » : ان السحر عبارة عن تطور للعمليات الفطرية لتفكير الانسان ، نتيجة ربطه بين الأفكار ، وقد انتهى هذا التطور بعد ذلك ، وصار في النهاية علما كاذبا على الرغم من انه كان في نفس الوقت علما منظما(١٠) .

---

(٨) طه الهاشمي : تاريخ الأديان ، مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

(٩) عبد العزيز عزت : أهم نظم الجماعات المتأخرة ، القاهرة ، مطبعة دار التاليف ، ١٩٥٧ ، ص ٣١ .

(١٠) صلاح نصر : الحرب النفسية ، معركة الكلمة والمعتقد - الجزء الثاني - القاهرة ، دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٣٥٨ ، ٣٥٩

ويقدم « تايلور » اربعة اسباب لايمان الشعوب الأمية بالسحر وهى فى راينا ايضا الأسباب التى تدعو اعضاء الحضارات فى مجموعة للحضارات العليا الى الايمان بقوى السحر .

السبب الأول : هو ان بعض نتائج السحر تحدث فعلا ، ولكن لا شك فى ان ذلك من قبيل الصدفة .

السبب الثانى : ان الساحر غالبا ما يستخدم الخداع والالهام والتلاعب بالألفاظ العمومية التى تحتمل كافة التاويلات الشخصية .

السبب الثالث : ان المؤمنين بالسحر يذهلون من النتائج التى تحدث ، ويتأثرون بها ، ولكنهم ينسـون ان الكثير من الرغبـات ، او الطلبـات لم تتحقق .

السبب الرابع : ان عدم تحقق المرغوب والمطلوب ، يفسر دائمـا بوجود قوى سحرية اخرى ، مضادة ، تعمل على عدم انجاح المطلوب ، وتتطلب اعمالا سحرية اخرى ، ضد السحر المضاد(١١) .

ويرى « ماريت Marett » أن السحر والدين ينبعثان دائرة واحدة من التجربة البشرية ، وان هذه الدائرة ، احدى الدائرتين العظيمتين اللتين تتبعان العالم الخارق للعادة ، وان السحر يشتمل على كل الاجراءات السيئة ، وان الدين يشتمل على كل الاجراءات الطيبة للتعامل مع العالم الخارق للعادة ، وان السحر هو الأخت السـيئة السمعة للدين ، والمشكلة بين السحر والدين ، لا تتبدى فى الحكم على كل منهما بأنه غيبى أم لا ، بل فى الوقوف على ان كلا منهما يمثل طرف النقيض بالنسبة للآخر .

وان جوهر الفكرة السـحرية هو اعتقـاد الهمجيين بقوة غيبية ، قوة فوق بشرية ، غير مادية تبث الحياة فى كافة الموجودات(١٢) .

---

(١١) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٤ .

(١٢) طـه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسـفتها ، مرجع سابق ، ص ٢٠٨ .

ويرى « دوركايم Durkheim » أن السحر كالدين يحتوى على معتقدات وطقوس ، وله كل مظاهر الدين المختلفة ، من قرابين وصلوات وطقوس ، ولذلك امتزج السحر بالدين امتزاجا شديدا ، « فاليهودية والمسيحية أمشاج من سحر ودين »(١٣) .

وهناك العديد من الأبحاث السوسيولوجية التى تؤكد أن التعليمات السحرية ، انما تستمد دعائمها وأسسها من التصورات والمفاهيم الدينية مهما كانت هذه الديانة ... يهودية أو مسيحية أو اسلامية أو توتمية ، فالفلاح مثلا قبل ان يبدأ فى حرث الأرض ، يقوم بذبح شاة تقربا الى دانيال باعتباره الولى ، ودانيال هذا هو أحد تلاميذ السيد المسيح عليه السلام ، اعتقادا منه : أن هذه الشاة سوف تقربه من الولى ، فتحل على الأرض الزراعية البركة والخير .

ونلاحظ أن هناك تصورات دينية تقوم على فكرة الاله ، والأخرى تصورات خرافية أو أسطورية تقوم على التقرب الى الأسلاف أو الأجداد ، وكل هذه الممارسات المختلفة من شأنها التغلب على القوى الطبيعية ، وفوق الطبيعية ، التى يقف أمامها الانسان حائرا ، أو يجد نفسه مضطرا لاستخدام مثل هذه الوسائل ، اعتقادا منه أن بامكانه التغلب على هذه القوى باستخدامه لهذه الأساليب السحرية(١٤) .

وقدم السير « جيمس فريزر J. Frazer » فى كتابه الشهير « الغصن الذهبى » نظرية مترابطة عن السحر تعتبر الأساس بالنسبة لما كتبه الآخرون فى هذا الموضوع ، فقد قام بفصل السحر عن الدين ، واستند فى ذلك الى أن السحر يكون بسيطرة الانسان على قوى الطبيعة ، فى حين أن الدين يرتكز على استرضاء قوى أعلى وأسمى من قوى البشر الطبيعية .

---

(١٣) قبارى محمد اسماعيل : اميل دوركايم : مؤسس علم الاجتماع المعاصر نظريا وتطبيقيا ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢٦

(١٤) Malinowski , Bronisslaw Magic, Science and Religion, Glencoe, The Free Press, 1954, pp. 37 - 38.

والسحر عند « فريزر » ليس مجرد طابع من الاعتقاد ، ولا هو جانب من الجوانب الثقافية للانسان ، بل هو فن يوضح النظرية والمعتقد فى كل خطوة ، ويضعها فى قالبها العملى ، ويستخدم فى العادة لسقى المزروعات ، وايقاع الصيد فى الشباك ، وتأمين الاستقرار فى الأسرة ، ويستخدم كذلك لابعاد الشر أو جلبه ، ووضع الشخص موضع القبول والتقدير ، الا انه يرى أن السحر نظام زائف للقانون الطبيعى ، ويرشد خداع للسلوك البشرى ، وعلم كاذب ، وفن عقيم ، وهو سابق فى وجوده عن الدين(١٥) .

ويفترض أن السحر نشأ أولا ، وعنه نشأت العقيدة الدينية ، فالناس — على حد قوله — كانوا فى بداية الأمر يركنون الى السحر فى تصريف أمورهم ، غير انهم ما لبثوا ان اصطدموا بمقاومة الطبيعة لهم ، وعدم سيرها وفق ارادتهم ، فاعتقدوا بوجود قوى عليا ، لا يستطيعون التحكم فيها ، أو السيطرة عليها ، وهذه القوى العليا هى الآلهة ، وكان عليهم أن يقفوا منها موقف الخضوع والخشوع ، ويتزلفون اليها بالقرابين والصلوات والأدعية ، ومن ثم نشأت الديانات(١٦) .

ولكن بعض مفكرى المدرسة الفرنسية لا يأخذون بهذا الرأى ، ويقولون بقيام الدين والسحر معا ، حيث انهما ظاهرتان متلازمتان ، ولا يمكن ان ينفصلا ، لأنهما من خصائص العقلية المتأخرة ، وركن أصيل من أركان الحياة الاجتماعية فى الجماعات البدائية ، ويذهب الى ذلك بوجه خاص العلامة « ليفى بريل » .

وذلك برغم ان الأغلبية وعلى رأسهم « دوركايم » كانوا يؤكدون أسبقية الدين على السحر(١٧) . غير أن « فريزر » يدعم نظريته مستندا الى عوامل ثلاثة :

---

(١٥) Frazer, J. G, The Golden Bough , Astudy in magic and Religion , Macmillan, London, 1960. pp. 23 - 29.

(١٦) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٤١ .

(١٧) عبد العزيز عزت : مرجع سابق ، ص ٣١ .

أولا : ان السحر بشعائره وطرقه وتطبيقاته العملية واحد اينما وجد ، بينما تختلف الديانات باختلاف المكان والزمان ، ومن ثم فان عمومية وخصوصية الدين سببها ان السحر هو الأصل والأساس الذى تفرعت عنه الديانات .

ثانيا : ان الظواهر السحرية تتسم بالبساطة ، فى حين ان العقائد الدينية ، وما يرتبط بها من شعائر وطقوس تتسم بالتعقيد ، ولما كانت المجتمعات الانسانية قد انتقلت خلال مراحل تطورها من البساطة الى التعقيد ، فانه لأمر طبيعى : ان تكون الممارسات السحرية قد عرفت قبل ظهور العقائد الدينية .

ثالثا : ان بعض الشعائر الدينية قد اختلطت ببعض عناصر السحر ، ولا بد ان يكون ذلك قد حدث فى عصر الانتقال من السحر الى الدين (١٨) .

واختلف « مالينوفسكى Malinowski » مع فريزر حول أسبقية السحر والدين والعلم فى المجتمع البدائى ، فيرى أن السحر يلعب فى المجتمع البدائى دورا بارزا ، فالانسان البدائى يسلك سلوكا عقلانيا ولا عقلانيا فى نفس الوقت ، شأنه شأن اى انسان متحضر ، لأن له معرفة بالحياة ، لها قيمتها بالنسبة له ، وهو يستخدم هذه المعرفة بطريقة عقلانية فى مواجهة احتياجاته ، ولكنه فى بعض الأحيان يعتقد اعتقادا كبيرا فى فعالية الطقوس ، وفى ضرورة تأدية شعائر سحرية فى مواقف معينة ، فسلوك الانسان البدائى فى رأيه هو مزيج من المعقول واللامعقول .

فالسحر كما يراه « مالينوفسكى **Malinowski** » عبارة عن محاولة الانسان لضبط الواقع الطبيعى مباشرة ، عن طريق معرفة تقليدية خاصة ، ويعتبر مالينوفسكى اول عالم انثروبولوجى قام بدراسة نظرية متكاملة عن السحر ، من خلال دراسته الحقلية لسكان جزر التروبرياند فى ميلانيزيا ، وهو يؤكد ان مجموعة الظروف الطبيعية التى يعيش فى ظلها

(١٨) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٤١ ، ٤٤٢ .

الانسان البدائى ، هى التى جعلته يتجه هذا الاتجاه ، فالانسان البدائى فى رايه ، وجد فى عالم بسيط جدا ، من حيث نوع الأداة التى كان يستخدمها فى ذلك الوقت ، وكانت أفكاره العقلية ، ومهارته الفنية لا تمده الا بوسائل محدودة ، تنحصر فى تلك الأدوات التى تيسر له الاكتفاء الذاتي ، ولذلك لجأ الى السحر اعتقادا منه بانه قوة كبرى خارقة يمكنه بها ان يتغلب على الأشياء ، وبخاصة على الظواهر الكونية(١٩) .

ويرى « مالينوفسكى » أيضا : ان السحر يمارس من أجل تحقيق غاية معينة ، اما الدين فهو غاية بحد ذاته ، وعلى الرغم من أن الدين والسحر يقومان ــ فى ظنه ــ على اساس اسطورى ، الا ان السحر يختص بجماعة قادرة على ممارسة طقوسه ، فى حين ان الدين ملك للجميع ، أى أن السحر خاص والدين عام ، وتتمثل وظيفة الدين عنده في تثبيت دعائم السلوك الاجتماعى المتعارف عليه ، وفى احترام التراث الشعبى ، والانسجام والوئام ، وتكيف الانسان مع الطبيعة المحيطة به ، هذا فضلا عن أن الدين يكسب الانسان الشجاعة والثقة فى صراعه مع الصعوبات ، ومع الموت ، أما السحر فانه يقوم بدور فعال فى مساعدة الفرد علي مواجهة المواقف الخطرة ، والظروف الحرجة . واجتيازها ، أى أن السحر يعمل على اسعاد الناس ، وذلك من خلال مجموعة من الطقوس والتعاويذ ، التى تعمل بدورها على زيادة الثقة بالنفس ، وفى امكانية أن ينتصر الناس على المخاوف التى تساورهم فى شتى نواحى الحياة المتعددة(٢٠) .

وينتقد « مالينوفسكى » وجهة نظر « فريزر » فى أن السحر يمثل مجموعة محاولات من جانب الانسان لكى يصوغ من خلالها مجموعة القواعد والمبادىء التى يمكن بواسطتها ان يتغلب على الحوادث المختلفة ،

---

(١٩) Malinowski , Bronisslaw; Magic, Science and Religion op. cit. pp. 22 - 28.

(٢٠) Malinowski, Bronisslaw; Magic, Science and Religion, op.. cit . pp. 38 - 40.

وجاء نقد « مالينوفسكي » الذي وجهه لـ « فريزر » على اساس ان ذلك كان يمثل فترة زمنية معينة من فترات علم الأنثروبولوجيا ، وانتهت هـذه الفترة بوفاته ، وانه كان قـد اهتم بالحياة البدائية اهتماما كبيرا ، كما انه اهتم بالتفسـير السـيكولوجى للاعتقاد البشرى ، فجاءت نظرياته عن السـحر ، تعبيرا عن الأفكار التى كانت تساوره ٠

كما ان « فريزر » قـد اغفل الجانب السيكولوجي الاجتماعى لظاهرة السحر ، وكان ميالا الى ان ينسب المحرمات والمحظورات التى يقررهـا الكهنة الى اطماعهم وحبهم لجمع المـال ، وانهم اسـتخدموا معتقدات التحريم ركيزة لسـلطانهم وزيادة ثروتهم ، وقـد وجه « مالينوفسكى » انتقاداته هـذه بناء على تحليـلاته لعمليات السـحر التى كان يستخدمها سـكان ميلانزيا في زراعـة حدائقهم ، ومقارنتها بما يسـتخدمونه فى عمليات الزراعة العادية (٢١) ٠

ويرى « موريس لينارت Mourse Leneert » ان كثيرا ما يقال : ان السـحر فن يؤثر فى المخلوقات وفى الطبيعـة بطرق غيبيـة بغرض الحصـول على نتائج خارقة للطبيعة ، كما ان السـحر فن يستطيع به الانسـان ان ينفذ الى الكائنات ، وهو بطبيعة الحال عضو من اعضائها ، والسـحر يجرى مفعوله بتعديل ايقاع الطبيعة العادى ، ويؤثر فى انسان مصـاب باضطراب نفسى ، بتعديل ايقاع وجوده الاعتيادى ، ولهذا يعتبر الاسـتهواء بتأثير الأوزان الشـعرية ، وايقاع الطبـل ، والانجـذاب الموسـيقى ، والتلاشى بالافتتان ، والموت ، أو بالعكس : التحمس للاقتناع بتأثير ايحائه او نحسـه أو سـعده ٠٠

يعتبر كل هـذا مؤثرات سـحرية ، ومهما كانت هـذه الوجـوه مختلفة ، يجوز عمليـا اعتبار السـحر عملا ينطوى على اقناع الانسان بأنه يؤثر فى المخلوقات ، وفى الأشـياء بأعمال مختلفة تنبثق من ارادته ، ولذلك يتجلى السـحر عنـد البـدائيين بمثابة : مركب من الاعتقـاد

---

(٢١) Ibid, pp. 42 - 45.

والممارسات ، تساعد على ابداعات فى المجالات التى لا تصل اليها يد الانسان ، كالمطر والخصب والاضرار والنجاح(٢٢) .

وقد ميز « ايفانز بريتشارد Evans Pritchard » بين الشعوذة ، والعين الشريرة ، فالشعوذة عنده تعنى الاستخدام المقصود للسحر الشرير بقصد الاضرار بالآخرين ، ويتضمن هذا السحر : استخدام المواد والشعائر والكلمات لتحقيق أهداف معينة عن طريق بعض الوسائل التى لا تخضع للضبط والملاحظة الحسية ، ويتضح من ذلك ان المشعوذ يضر بالآخرين ، دون أن يهاجمهم بصورة مباشرة ، ولكن ميوله ونوازعه الشريرة والعدوانية هى التى تحركه ، وتدفعه الى القيام بمثل هذا السلوك ، وان التنظيم الاجتماعى العام هو الذى يحدد العلاقات الاجتماعية القائمة على العراك أو الخصام ، والتى يتم فى اطارها ـ أو لا يتم ـ استخدام العين الشريرة والشعوذة(٢٣) .

ويرى « سمنر Sumner » ان نشاة الخرافات والأساطير عند البدائيين ترجع الى أنهم كانوا يخافون الألم والمرض فانشأوا مناهج للسلوك ، باصطناع الحيل لتفادى الألم والمرض ، وكانت تلك الحيل أعمالا طقوسية ، تأسست على معتقداتهم الغامضة والفجة فى الأشباح والعالم الآخر .

* * *

والواقع ان الأخذ بالاتجاه التطورى فى تفسير أسبقية السحر على الدين أو العكس ، لا يتمشى مع حقائق العلم ، ولا يستند الى أدلة واقعية محسوسة(٢٤) .

ومهما يكن من أمر الممارسات الدينية والسحرية ، فهى قبل كل شىء ظواهر اجتماعية ، لا يمكن تفسيرها فى نطاق علم النفس الفردى

---

(٢٢) طه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسفتها ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .

(٢٣) عبد الهادى الجوهرى : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

(٢٤) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٤٤٢ .

وحده ، ولكن لا بد من دراستها ايضا من الناحية الاجتماعية ، أما فيما يتعلق بمشكلة التمييز بين الدين والسحر ، فيجب أن يعتمد هذا التمييز على راى اعضاء المجتمع انفسهم ، ونظرتهم الى الممارسات والطقوس التى يقومون بها ، او يشتركون فى ادائها . أو التى تتم ممارستها من اجلهم ، وكذلك نظرتهم الى الأشخاص الذين يمارسونها ، والدور الذى يؤدونه فى الحياة الاجتماعية ، فمن الصعوبة بمكان أن يقطع الباحث المبتدىء بأن الشعائر الخاصة بالاستسقاء شعائر دينية أو سحرية ، الا اذا فهم وجهة نظر الأهالى انفسهم ، وعرف معنى هذه الشعائر بالنسبة لهم(٢٥) .

وتعتبر شعائر الاستسقاء فى المجتمعات البدائية والنامية والمتخلفة من ابرز الممارسات السحرية التى يمارسها الفلاحون بصورة جمعية لانزال المطر ، كما ان الكلمات التى يتم ترتيلها فى هذه الشعائر تشير الى نوع من المحاكاة ، أو التقليد ، فالفلاحون يتصورون أن هنالك نوعا من العطف والرحمة فى العالم العلوى ، يشبه ذلك الذى يعرفوه ويألفوه فى العالم الأرضى ، وهذا النوع من السلوك يقوم على الاعتقاد بإرضاء الأرواح ، فأى تأثير فى احدهما يؤثر على الآخر .

وعلى الرغم من ان الناس يمارسون نوعا مختلفا من الشعائر فى اطار مفهوم الدين الاسلامى عن الاستسقاء ، فان المظاهر السلوكية ترتكز على جذور اعتقادية راسخة فى رحمة الله بعباده الذين لا يجدون الماء .

واكثر صور الاستسقاء شيوعا فى المجتمعات المسيحية ، ما يحدث فى القرى ، عندما يخرج الناس رجالا ونساء يحملون « مزنية » بقطعة قماش على شكل صليب تسمى المصنع ، ويطوفون بها فى شوارع القرية ، ويطلبون الماء من الناس ، ويمتنع الناس فى البداية عن تلبية مطلبهم ، الا انهم يسكبون الماء فيما بعد على « المصنع » فيرددون بأعلى صوت « يالله الغيث ـ يالله الغيث » .

---

(٢٥) أحمد أبو زيد : البناء الاجتماعى ـ مدخل لدراسة المجتمع ـ الأنساق (جـ ٢) دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

والملاحظ أن هذه الطقوس تقوم أساسا على مبدأ المحاكاة والتقليد ، فسكب المياه ، من شأنه أن يحدث تأثيرا مماثلا على العالم العلوى ، فينزل المطر(٢٦) .

كما أن هناك بعض الطقوس التى تتم ممارستها بشكل جمعى فى بعض المجتمعات البدائية ، من أجل بعث الخصب فى الأرض ، وطرح البركة فى المحصول ، وذلك عن طريق خروج الناس الى الحقول الزراعية ، وممارسة العلاقات الزواجية فى الحقل اعتقادا منهم بأن عملية الاخصاب التى تتم نتيجة لذلك ستنتقل أيضا الى الأرض والى المحصول ، وهكذا تكون هذه الطقوس ، هى الوسيلة التى تنفذ التعويذة أو الكلمات وتحولها الى عمل(٢٧) .

فى حين أن السائد فى المجتمع المصرى : أن مثل هذه الأمور تفسد المحصول ، وأن من يسير فى الحقل ويكون غير متطهر ، ومغتسل يؤدى ذلك الى احتراق الزرع ، وبخاصة محاصيل الخضروات .

وعلى كل .. فان تفسير الباحثين لهذه الشعائر يختلف من باحث لآخر ، فالباحث الذى ينتمى الى مجتمع اسلامى ، والى ثقافة اسلامية ، ينظر الى الاستسقاء على انه جزء من النسق الدينى ، لأنه يعتبره كذلك فى مجتمعه الخاص به ، وبثقافته الخاصة ، بينما قد يعتبره الباحث الأوروبى على عكس ذلك .

* * *

وما زال المجال مفتوحا أمام الباحثين لمزيد من الدراسة فى مجال الدين والسحر ، وليس لتحديد الفرق بينهما فقط ، ولكن لدراسة الآثار الاجتماعية التى يخلفها كل منهما ، أو كليهما معا . على ايقاع الحياة العامة ، فى المجتمعات الحديثة .

---

(٢٦) Mead Margreat, Anthropoligest - at work university Press of Chicago First edition 1959, pp. 225 - 227.

(٢٧) Rogers Everrett., Social change in reural Society Appleton-Contary Cofts, 1960, p. 209.

واذا كانت الأعمال السحرية قد ارتبطت منذ البداية بالمجتمعات البدائية ، منذ بداية التاريخ ، ثم جاءت الأديان الوضعية لتبدأ مسيرة أخرى . امتلأت بالحروب والمنازعات والشرائع الدينية الى أن تدخلت العناية الالهية لتنقذ البشر من أنفسهم ، فكانت الديانات السماوية ، ومنذ ذلك الوقت ، وتاريخ العالم يأخذ مسارا جديداً ومختلفاً ؛ حيث أخذت الوان أخرى من الصراع ، تأخذ مكانها فى تشكيل وصياغة التاريخ ، مثل النزاع بين الكنيسة والدولة ، وهذا الكم الهائل من الحروب الدينية ، الى أن وصل العالم الى الانقلاب الصناعى الأول ؛ وظهور المجتمعات الحديثة والمعقدة ، وما صاحبها من صراعات وحروب المصالح الاقتصادية ، بديلا عن الحروب الدينية ؛ واكتفى المتدينون بأن يعبدوا الله ، وظهرت دعاوى كثيرة عن التآخى بين الأديان ؛ ثم الدين لله والوطن للجميع ..... الخ .

ومن المفيد القول : أن العالم وهو على وشك الدخول الى مرحلة الانقلاب الصناعى الثانى ــ بسبب التقدم التكنولوجى الهائل ــ قد صاحبته ظواهر أخرى ، ولازمت تقدمه ، حيث بدأ التفكير الدينى أو الدين بشكل عام ، يبرز فى المجال السياسى ، بعد أن اعتمل لفترة طويلة فى المجال الاجتماعى لمجتمعات كثيرة .

وتجدر الاشارة الى ان هذا التقدم التكنولوجى الضخم ، قد قسم العالم الى قسمين : عالم الشمال المسيطر ، القوى والثرى ، وعالم الجنوب الضعيف والمتخلف . وكانت أبرز سمات المجتمعات المتخلفة فى عالم اليوم ، انها تأخذ بالتفكير السحرى فى حل مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بمعنى طرح الحلول الكلية لمشكلات جزئية ، ومن ثم تعقدت مشاكلها ، واصبحت تشعر بالخوف والعجز فى عالم تحكمه ارادة الأقوياء .. ووصلت بذلك الى نفس الموقف الذى كان الانسان البدائى يلجأ فيه الى السحر ، ليتغلب به على عجزه وخوفه ، ولكنها فى هذه المرة لم تلجأ الى الطقوس السحرية المألوفة ، ولا للعرافين أو المنجمين ، بل لجأت الى التفكير السحرى ، الذى لا يضع مشاكلها وقضاياها فى حجمها تمهيدا الى التغلب عليها ، وانما ذلك

التفكير الذى يضخم من المشاكل الصغيرة ، ويقلل من حجم المشاكل الضخمة ، وغياب الرؤية الموضوعية ، للحيلولة دون تضخم هذه المشكلات .

ويمكن القول من هذا الاستعراض المختصر للتفكير الدينى والتفكير السحرى .. أن كلاهما قد بدأ مرحلة جديدة فى عالم تحكمه تكنولوجيا حديثة ومعقدة ، وان سادة القرن العشرين التكنولوجيين ، يحاولون الآن فرض نوع جديد من العلاقات والسيطرة على العالم ، وعلى المجتمعات المعاصرة !!

فهل يؤدى الخوف والعجز مرة اخرى الى اعتماد مناهج مختلفة فى التفكير والعمل ؟

كلها قضايا وظواهر ما زالت فى حاجة ماسة الى بحثها واستخلاص نتائجها التنبؤية ، لأنها ما زالت فى بدايتها ، ولكن ما يمكن استخلاصه مؤقتا : أن الفرق بين الدين والسحر ، أو بين التفكير الدينى والتفكير السحرى كان واضحا ، سواء على مستوى المجتمعات ، أو على مستوى العالم .

وقد انشغل بذلك كثير من العلماء ، حيث حاول بعض علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع بحث أسس التمايز بين الدين والسحر .. أو محاولة تحديد الفرق بينهما .

ويمكن تلخيص هذه الأسس على النحو التالى :

١ - تختلف طبيعة السحر عن طبيعة الدين فى اساسها ، لأن السحر مرتبط دائما بالأمور الخبيثة والوسائل الدنسة ، ولم تخل العبادة فى الدين ، قط ، من توسل الى الخير ، ورجاء فى كرم المعبود ، وقلما تخلو من تطهير بنوع من أنواع الطهارة ، يناقض وسائل السحر الخبيث ، فكأنما الناس قد فرقوا بين العبادة والسحر ، عندما فرقوا بين الأرباب المرجوة ، والأرباب المرهوبة ، فاتخذوا العبادة لأرباب الخير والمحبة ، واتخذوا السحر لأرباب الشر والبغضاء(٢٨) .

---

(٢٨) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٤٤٢ .

ويؤلف السحرة جماعة منعزلة عن رجـال الدين ، كما أن نظرة المجتمع اليهم تختلف اختلافا كبيرا عن رجـال الدين ، اذ يعتبرهم اقل مرتبـة ومكانة ، حتى ولو كانوا يمارسـون سـحرهم لصـالح الجماعة كلها ، كمـا أن رجل الدين يحتاج فى العادة لفترة طويلة فى مجال الاعداد ، قبـل أن يباشر وظيفته فى المجتمع ، وذلك بعكس الساحر حتى فى المجتمعات البدائية .

٢ ـ لا يمكن مزاولة السحر وطقوسه على مستوى الجماعة كلها . أو الجانب الأكبر من الجماعة ، كمـا هو الحال فى الشـعائر الدينية ، بل كثيرا ما تمارس فى الخفاء ، ولا يكون لهـا أى مظهر اجتماعى على الاطـلاق .

٣ ـ يعتمد السحر على عبارات وتعاويذ وصيغ ، كثيرا ما تكون غير مفهومة حتى بالنسبة للذين يستخدمونها ، بعكس الدين الذى يسـتخدم اللغة العادية السـائدة فى المجتمع ، كما أن العبادات والصيغ التى يتلوها رجل الدين مفهومة فى أغلب الأحوال ، ليس له وحده ، بل للنـاس جميعا(٢٩) .

٤ ـ تسـتدعى طقوس الدين نوعا من الخشـوع والايمان والتقوى ، ولا تنتظر نتائج مباشرة ، بينما يتوقع الناس نتائج السـحر تلقائيا ، وعلى هـذا فان هـدف الديانة عام ، وموزع ، بينما هدف السـحر محدود بمطلب معين ، ومحدد الأثر بأفراد معينين .

٥ ـ الدين فى مجموعه ، والطقوس الدينية بشكل خاص ، عبـارة عن عمل له اغراض وأهداف اجتماعية ، يوافق عليها المجتمع ويشـترك فى أدائها ، بينما السـحر ، والسـحر الأسـود ، على الأقل ، مرهوب يخشاه الناس ، وهو عمل فردى يتم فى الغالب سرا(٣٠) .

---

(٢٩) جـلال مدبولى : الاجتماع الثقافى ، مرجـع سـابق ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٣٠) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

٦ ـ يقوم الدين على مجرد العبادة ، وتقديم القرابين لأسباب قد تكون مجهولة ، ولكنه يستهدف ايجاد تجانس فى العقيدة بين افراد المجتمع ، وارساء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد ، على أساس معايير اخلاقية يرسمها ، كما انه يستهدف ـ بشكل خاص ـ تعويد الأفراد على الطاعة ، والخضوع لنظام اجتماعى معين ، مما يؤدى الى امكان قيام الحياة الاجتماعية ، فقد كان الدين فى المجتمعات البدائية ، يمثل الأساس القانونى والأخلاقى الذى تقوم عليه العلاقات الاجتماعية بين الناس ، حيث لم تكن ثمة قوانين مدنية ولا قواعد أخلاقية مستقلة عن القواعد الدينية ، ولا زال الدين فى المجتمعات الحديثة يكون ركنا ركينا فى العلاقات الاجتماعية والأخلاقية بين الأفراد . أما السحر ، وان كان فى بعض مظاهره يعكس مظاهر الدين ، وخاصة ما يقوم به السحرة وعملائهم من صوم ، وامتناع عن بعض الأعمال المنافية للأخلاق ، فانه يستخدم هذه الطقوس لا كوسيلة من وسائل تنظيم الأخلاق والعلاقات الاجتماعية ، وانما كمجرد أداة للتأثير على قوى خاصة لتحقيق اغراض يرجوها(٣١) .

٧ ـ للدين غرض اجتماعى أخلاقى ، وهو ربط الأفراد بمجتمعهم عن طريق احترام المعتقدات ، والأخذ بالطقوس وتطبيقاتها ، بينما السحر له غرض شخصى نفعى : هو تغلب بعض الأفراد على عقبات تصادفهم فى الحياة ، ولهذا كان الدين يخص المجتمع المتأخر بأسره ، ويتعلق بسائر أفراده أجمعين ، بينما السحر يهم بعض أفراد المجتمع المتأخر فقط ، وهم المشتغلون به ، ولفوائدهم الذاتية .

٨ ـ يقوم السحر على فكرة الخوف من الأرواح الشريرة ، ومحاولة مقاومتها ، بينما لا يقوم الدين على فكرة الخوف ، وانما على فكرة التضامن والتماسك الاجتماعى ، عن طريق عرف وتقاليد الجماعة .

٩ ـ يرتكز السحر على جهل اللاجئين اليه ، والأخذ بأصوله ،

---

(٣١) حسن شحاته سعفان : الدين والمجتمع ، دراسات فى علم الاجتماع الدينى ، مطبعة دار التاليف ـ ١٩٥٨ ، ص ٥٣ .

بينما يقوم الدين على معرفة سائر الناس باصوله ، ومشاركتهم جميعا في معتقداته وطقوسه •

١٠ ـ يقوم السحر على التشاؤم والشك ، بينما يقوم الدين على التفاؤل والثقة والاخلاص(٣٢) •

١١ ـ لا تحاط الممارسات السحرية باى قدر من القداسة ، عكس الدين والشعائر الدينية •

١٢ ـ يرتبط السحر بالمستوى الحضارى والثقافى للمجتمعات الانسانية ، فكلما انحط المستوى الحضارى للمجتمع ، انتشرت الممارسات السحرية ، بعكس الدين(٣٣) •

١٣ ـ يعتبر الدين من ابرز الوسائل التى تستخدم فيما يسميه علماء الاجتماع ، بالمراقبة الاجتماعية ، فهو يستهدف مراقبة سلوك الأفراد في ناحية أو اكثر من نواحى نشاطهم الجمعى ، شأنه فى ذلك شأن النظم القضائية والتربوية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية ، بينما لا يقوم السحر بهذه المهمة الا بشكل عرضى وغير رئيسى •

ولعل هذا ما دعا بعض علماء الاجتماع مثل « ايفلان » الى القول : بان الدين يعتبر المصدر الأصلى لما يسود المجتمعات المتطورة من قوانين داخلية ، مثل القوانين التى تنظم حياة الأسرة والحياة السياسية ، بينما القوانين الخاصة بالمحافظة على الأموال والأنفس أساسها السحر اذ هى ترجع فى اصلها الى ما كان سائدا عند بعض المجتمعات البدائية والمجتمعات القديمة من احجبة محتوية على صيغ لدعوات ضد اللصوص ، من شأنها ان تجمدهم ، وتشلهم عن الحركة حتى يردوا المسروقات الى اصحابها(٣٤) •

وقد عقد « مارسيل موس » مقارنة فاصلة بين طقوس الدين

---

(٣٢) عبد العزيز عزت : مرجع سابق ، ص ٣٠ ، ٣١ •
(٣٣) عبد الباسط محمد حسن : مرجع سابق ، ص ٤٤٣ ، ٤٤ •
(٣٤) حسن شحاته سعفان : مرجع سابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ •

وتجارب السحر ، فالسحر فى حقيقة أمره : بقايا معتقدات قديمة ، مثلما يرى بعض علماء الفولكلور من أمثال « سكيت M. Skeat » الذى وجد أن السحر ما هو الا مجموعة من الطقوس القديمة التى تتعلق بالنشاط الزراعى والأراضى الزراعية فى « ماليز Malais » .

كما أن الذى يميز الدين عن السحر فى رأى موسى : هو التحريم ، فالتحريم هو الذى يضع فصلا واضحا بين ذلك التعارض بين طقوس الدين وتجارب السحر ، فاذا كان الدين يتعلق بظاهرة الخير ، فان السحر يرتبط بظاهرة الشر والضرر .

ففى كل الديانات نجد دائما نوعا من المثالية الروحية التى تتجلى فى التقرب من الله ، بالتسابيح والعبادة والقربان والأمانى والنذور ، وتلك مظاهر دينية خالصة ، بعيدة كل البعد عن السحر وظواهره وتجاربه التى لا تتجه الى الله ، وانما الى استدعاء أرواح الأسلاف والأجداد لايقاع الأذى والضرر عن طريق ممارسة بعض الاجراءات السحرية .

واذا كان الساحر يقوم بأساليبه السحرية كى يفرض على الأرواح والقوى الشريرة القيام بأعمال معينة بالذات وفقا لرغبات الساحر ، فان رجل الدين « يسترحم » الاله دون فرض أو اكراه ، فهو يطلب الرحمة ، والمغفرة ، وتقديم القربان على مذبح المعبد ، حتى تصفح عنه الآلهة .

ظاهرة الدين اذن تتمايز تماما عن ظاهرة السحر ، فقد حارب السحر الدين محاربة لا هوادة فيها ، كما إننا نجد فى أفعال السحرة الكثير من الأعمال والنزعات اللادينية(٣٥) .

* * *

ويمكن القول ان السحر : هو نوع من الطقوس والشعائر التى

---

(٣٥) قبارى محمد اسماعيل : اميل دوركايم مؤسس علم الاجتماع المعاصر ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

يمارسها الانسان من خلال ممارسته لبعض الوسائل الخاصة ، بهدف الحصول على بعض المنافع ، كما انه عملية يقصد بها احداث تأثير من نوع معين على القوى الطبيعية لاحداث نوع من التوازن بين الانسان وظروفه الاجتماعية ، ويمد السحر الذين يمارسونه بسلطة اجتماعية قوية كما يعتبر مهنة أو عملا يمارسه الأفراد بطريقة شبه سرية ٠ وتستند قوة السحر على قوة التعاويذ او العبادات التى يتوارثها الذين يمارسونه ، ودائما ما تصحب التعاويذ مجموعة من الأعمال والشعائر الطقوسية التى تكون وظيفتها : الوصول الى الغرض المطلوب ٠

ويستخدم السحر كذلك فى احداث اضرار او آلام بالنسبة للبعض ، واحيانا فى ازالة المرض ، وابعاد العين الشريرة ، أو للزواج أو لفتح باب الرزق ٠ وهكذا كان يتم استخدام السحر فى أوجه الخير والشر ، وبمعنى آخر للضرر والنفع ٠

ويعتبر السحر نمطا من انماط السلوك غير المقبول اجتماعيا ، والمرفوض على المستوى الاجتماعى ، ويحرص الذين يمارسونه على ان يظل فى أضيق الحدود ، حيث انهم يتخذونه وسيلة للثراء المادى ، ومن ثم كان من الضرورى محاربته ، والقضاء عليه ٠ ومن الملاحظ ان هناك بعض الكنائس ما زالت حتى الآن تستخدم السحر من خلال تلاوة ما يسمونه بالرقية ، وهى عبارة عن أدعية توجه الى الأرواح الشريرة لارغامها على الخروج من شىء ما ، سواء أكان هذا الشىء شخصا أم مكانا معينا تسيطر عليه هذه الأرواح ، كما يعتقدون ٠

ويعتبرون أن تلاوة هذه الرقية ، وسيلة لازالة كل الموانع والعوائق التى تمنع من السير فى الطريق المستقيم ٠ وقد ورد ذكر السحر فى القرآن الكريم ، ولكنه عرض اليه من جانب الموعظة والهداية ، وحث المؤمنين على الابتعاد عنه ، ولهذا لا يمكن ربط الدين بالسحر ، لأنه نمط من السلوك لا يقره الاسلام ، لما فيه من آثام واضرار تلحق الأذى بالآخرين ٠

* * *

الفصل الثانى

تصنيفات السحر

لقد قلت الكتابة فى موضوع السحر ، لأسباب كثيرة اهمها : نهى الأديان السماوية عنه ، وبخاصة الاسلام ، وللجزاء الصارم الذى يناله السحرة بعد اكتشاف أمرهم ، ولأن كل نوع من أنواع السحر كان حكرا على من يقوم به ، سواء من الناحية الطقوسية أو من ناحية الأداء الفردى ، فلكل نوع من أنواع السحر اسراره ، ورموزه ، وكلماته ، وطقوسه ٠ وسواء أكان الساحر يمارس ذلك عن معرفة ، أو ادعاء ، فهو فى النهاية ، يعتبر ما يفعله سرا خاصا ، يتعلق بمقدرته على ممارسة الأعمال السحرية ٠

واذا كان الناس قد أحرقوا كل ما يتصل بالسحر ، بعد اكتشافهم للسحرة ، خوفا من انتشاره ، فان ما بقى من هذه الأشياء الممنوعة ساعد الباحثين على وضع تصنيفات للسحر وأنواعه ، منها :

● سحر رسمى :

وهو الذى يقوم به سحرة معنيون متخصصون ، وهيئات خاصة تجمعها الدولة أو المجتمع(١) ٠ وتدور موضوعاته الأساسية حول الدراسة التقليدية ، والبحث فى الله وعرشه وخدمه ، وما يرضيه وما يغضبه ٠٠ الخ ٠ وكذلك الملائكة والجن ، والخصائص السحرية للحروف والأعداد ، واسماء الله والنباتات والحيوانات ٠٠٠ الخ ٠ ثم تأتى فى مرتبة تالية لهذه التعاليم الخاصة باستخدام هذه العناصر السحرية ، طرق نقل الأسرار الى الأجيال التالية ، والمحافظة عليها ، ويلى ذلك الأغراض التى يمكن استخدام هذه العناصر السحرية فيها ،

---

(١) حسن شحاته سعفان : مرجع سابق ، ص ٤٠ ٠

ويخضع الانتفاع العملى لدرجة تدين الساحر ، وما بلغه من تقدم فى مراتب التصوف والأخذ بأساليبه الصعبة ، التى تسعى الى تخليص جسده وروحه من كل شرك أو فساد أو ظلم ٠

ويرى من يقومون بهذا النوع من السحر ان مهمتهم : هى ايجاد كل شىء وفقا للمبادىء التى اتبعت فى الخلق الالهى بقدر الامكان ، ولذلك لا يمكن أن ينجح له أى عمل دون اذن وتفويض من الله ٠

ويلاحظ أن السحرة الرسميين يؤكدون هذا فى كل مناسبة ، وعند تقديم أى وصفة سحرية ، ولا يمكن أن تتحقق فاعلية أى وسيلة من الوسائل التى يتبعها هؤلاء الا من خلال القوة التى يضفيها الله عليها ، ومن خلال مساعدة خدامها من الأرواح الذين هم من خلق الله تعالى(٢) ٠

● سحر خاص :

وهو الذى يقوم به الفرد لنفسه ، او تقوم به الأسرة لأفرادها ، ولا سيما فى حالات التطبيب والعلاج ، عندما يصاب شخص ما بمرض خاص أو بجرح معين(٣) ٠

مثل قص ورقة على هيئة عروسة (أو شخص) ثم وخزها بالابرة ، وحرقها ، كوسيلة لطرد الأرواح ، أو لطرد العين الحاسدة ، التى يعتقد أنها تسببت فى احداث المرض أو الجرح ، ولا تزال مثل هذه الأعمال سائدة فى المناطق الريفية والشعبية فى المجتمع المصرى ٠

● سحر نافع أو مفيد :

وهو ذلك النوع من السحر الذى يستخدم فى المساعدة على حل ما قد

---

(٢) سامية الساعاتى : مرجع سابق ـ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، انظر كذلك محمد الجوهرى : السحر الرسمى والسحر الشعبى ـ المجلة الاجتماعية القومية ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ العدد الثانى ـ القاهرة ـ ١٩٧٠ ، ص ٦ ، ٨ ٠

(٣) حسن شحاته سعفان : مرجع سابق ، ص ٤٠ ـ ٤٢ ٠

يواجه الأفراد من صعاب وغيرها من اغراض عامة لصالح المجتمع(٤) .
ويطلق عليه فى بعض الأحيان « سحر ابيض » لأنه يستخدم لفعل الخير فقط ، ولا يستهدف الحاق الأذى بالآخرين ، لأنه يساعد على حماية الأشخاص من قوى الشر ، أو الحظ السيء ، أو العدو المتربص(٥) .

● سحر أسود (Black Magic) :

وهو الذى يقصد به الحاق الضرر والأذى أو تدمير الآخرين أو كل المجتمع ، ويطلق عليه ايضا : سحر ضار (Wicheraft) ، وهناك اعتقاد أنه كان سائدا فى المجتمعات البدائية ، لاستطاعتهم استجلاب قوى خفية ، وخارقة للعادة ، كانت تستخدم فى اغراض ضارة وشريرة ، ومن يقوم بممارسة هذا النوع من السحر فى الوقت الحاضر ، فانه يؤذى الآخرين ، دون أن يهاجمهم بطريق مباشر ، ويدفعه الى ذلك ، نوازع الكراهية والحقد ، ضد من يحوك ضدهم السحر ، وقد انتشر هذا النوع من السحر كموجة حضارية فى أوروبا فى العصور الوسطى وعوقب السحرة بالقتل والحرق ، فى حملة عاتية ذهب ضحيتها كثير من الأبرياء فى نهاية القرون الوسطى وبداية عصر النهضة(٦) .

● سحر بواسطة التقليد :

يقوم هذا النوع على مبدأ التقليد أو المحاكاة ويطلق عليه (Imitatve Magic) أو السحر المثلى (Homeopathic) ، وينطوى على الاعتقاد بأن القيام بصنع شيء مشابه للشخص أو للشيء الذى يراد حوك السحر ضده ، ثم اصابة هذا الشيء بطريقة أو بأخرى ، انما يحدث صدى مماثلا فى الشخص أو الشيء الذى يراد الاضرار به بواسطة السحر .

---

(٤) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٥

(٥) محمد عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع - مرجع سابق ، ص ٢٧٦

(٦) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٥

فمثلا اذا اراد الساحر فقء عين احـد الأعداء ، فان على الساحر ان يبدأ بعمل تمثال او مسخ ، او حتى مجرد ورقة مقصوصة على شكل مشابه للشخص الذى يراد الاضرار به ، بحيث يكون الشىء الذى يرمز اليه مشتملا على صفة مشـتركة بينهما ، ثم تتلى تعاويذ معينة ، وقد وضع الساحر فى ذهنه ان ما صنعه بيديه ، هو نفس الشخص ، ثم يقوم بفقء عين التمثال او الورقة .

وانتشر هـذا النوع من السحر ، وذاع صيته فى مصر الفرعونية ، فقد كان الساحر ، اذا حصل على نقطة دم من الذى يريد عمل السحر ضده ، أو بعض من قلامات اظافره ، أو خصلة من شعره ، كان يقوم بخلطها فى كتلة من الشـمع ، ثم يقوم بصبه على شـكل مشابه للضحية ، ويقوم بالباسه على النحو الذى اعتاد الشخص المسـحور ان يلبس ، فاذا ما تعرض التمثال للنار ، فان الشخص المراد ، يقع على الفور صريع الحمى ، واذا ما طعن هـذا التمثال بسكين ، شعر الشخص بآلام شـديدة ، وانه قد جرح فى المـكان المناظر للمـكان الذى طعن فيـه التمثال(٧) .

كما ان تصور السحب محملة بالمطر فى مناطق الجفاف ، وبصورة او باخـــرى ، يمكن ان يكون السحر ، التعـــاطفى (Sympathetic) مماثلا لهـذا النوع من الســحر ، لأنه يقوم ايضا على أساس : ان المثيل يؤثر فى المثيل(٨) .

● السحر الشـعبى :

ويقوم أساسا على المعتقد المحفوظ فى صدور الأفراد ، معتمدا على الخبرات المكتسبة ، التى يتم تواترها وحفظها شفاهة فى المقام الأول ـ مثل الحسد وما يدور حوله من معتقدات وممارسات ، والتفاؤل والتشاؤم

---

(٧) يوسف ميخائيل أسعد : معتقدات وخرافات ـ مرجع سابق ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨.

(٨) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٦

من الأسماء ، كالعزوف عن ذكر أسماء الأمراض الخطيرة أو غيرها ، ايمانا بالقوة السحرية للاسم ، فذكر الاسم استحضار لمضمونه ، واتصال بهذا المضمون - وكذلك عفريت الليل ، وما يسجله المعتقد الشعبى الشفاهى عنه من قصص وحكايات ، ولهذا كان ميدان السحر الشعبى أكثر تأثرا بالتراث الشفاهى المتوارث فى المجتمع المصرى ٠ وهو يعتمد على خبرة عامة عميقة الأسس ، ويمارس السحر الشعبى كل فرد فى المجتمع - تقريبا - وفى كل مناسبة من المناسبات(٩) ٠

أما بالنسبة للساحر ، فهو يسلم كمسلم : بأن كل شىء يخضع لارادة الله ، ولكنه يعتقد ان كل خير أو شر يمكن أن يصيب الانسان ، يرجع الى علاقة بين الانسان الفرد والجن ٠ ولذلك فان علم السحر الشعبى ليس سوى كيفية تسخير واستغلال الجن للحيلولة دون وقوع شىء ضار ، وهو بذلك يدخل فى تناقض مع المبدىء الأساسية للدين الاسلامى(١٠) ٠

● **السحر الاتصالى (Contagious) :**

وهو يشابه الى حد بعيد ، السحر بواسطة التقنيد ، لأنه يقوم على مبدأ أن ارتباط شيئين ، أو شخص وشىء يملكه أو يستخدمه ، يؤدى الى تاثير متبادل ، ومن ثم فان حصول الساحر على « اثر » وتقال بالعامية « أتر » فى مصر ، سواء أكان منديلا أو خصلة شعر أو قطعة من ملابسه أو أسنانه المخلوعة ٠٠٠٠ الخ ٠ يمكنه ذلك من التاثير المرغوب على الشخص نفسه ، بحكم الاتصال السابق بين الشخص و « اتره » ودوام التاثر والتاثير بينهما(١١) ٠

● **السحر الانتاجى (Productive Magic) :**

ويهدف هذا النوع من السحر الى تحسين الانتاج ووسائله ، وتنظيم

---

(٩) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ١٠٤ ، ١٠٥
(١٠) المرجع السابق ، ص ١٠٢
(١١) محمد رياض : مرجع سابق ، ص ٥٦٦

العمل والتحكم فى العوامل الطبيعية لتحقيق ذلك ، ومن عناصره : سحر الصيد ، وسحر الخصوبة ، وسحر الزراعة ، وسحر انزال المطر ، والتجارة ، والحب .... الخ .

● السحر الوقائى (Protective Magic) :

ويهدف هـذا النوع من السحر الى حفظ حقوق الأفراد ، كما يعمل على منع وقوع الشر والأذى ، ويساعد الأفراد على الشعور بالأمان ، كما أنه يعمل على توجيه جهودهم نحو مناشط الحياة فى أمان ، ومن عناصره : الوقاية من سوء الطالع ، وتجنب أخطار الأسفار .... الخ .

● السحر الانتقامى أو العقابى (Punitive or Destructive) :

ويهدف الى الانتقام من المعتدى او الجانى بعد ان يقع الأذى بالفعل ، وله دور القصاص أو الانتقام ومن عناصره : سحر اثارة العواطف ، واتلاف الملكيـة وجلب المرض ... الخ(١٢) .

● سحر طبيعى او مباشر :

وهو السحر الذى يؤثر مباشرة فى القوى الطبيعية ، بدون استخدام قوى خارقة ، بمعنى أنه يتم بلا وساطة .

● سحر غير مباشر أو شيطانى :

وهو السحر الذى يؤثر فى القوى الطبيعية ، عن طريق الاستعانة بالآلهة أو الملائكة .

* * *

● السحر فى المجتمعات البدوية والريفية :

وبعض هـذه الأنواع من السحر ، يظهر اثرها فى المجتمعات البدوية والريفية ، بشكل اكثر وضوحا ..

وينقسم الى عدة فروع ، وقد أوضح محيى الدين صابر خلال دراسة حقلية قام بها لقبائل الأزاندى ان عندهم سحران : السحر الأسود ، ويمثل

---

(١٢) جلال مدبولى : مرجع سابق ، ص ٩٨ ، ٩٩

مجتمع المانتو ، والسحر الأبيض ويمثله الحكماء ، وأوضحت الدراسة ان السحر الأسود يعتبر خاصية موروثة ، بينما يمكن لأى من الناس ان يتعلم الحكمة اذا ما كان قادرا على دفع الثمن ، حيث تتأكد صلاحيته للحكمة والتنبؤات والاستخارات . وبعض اشكال وانماط السحر الأسود تعتمد على استخدام جذور النباتات ، التى لها خاصية فعالة فى الحاق الأذى . ويعتمد السحر الأبيض بدرجة كبيرة على القدرة النفسية ، والرقص والايحاء ، كما تدخل الاستخارات والتنبؤات فى مجال السحر الأبيض .

اما عن بعض الصور السحرية فى المجتمعات البدوية فاهمها :

● **صانع المطر** : ويعتبر الساحر المسئول عن المطر ، مسئولا مسئولية مباشرة عن انزال المطر ، وذلك عن طريق قيامه بالعديد من الطقوس السحرية المختلفة ، والمتصلة بانزال المطر ، خصوصا فى فترات الجدب والجفاف ، ولهذا فهو يعتبر من أهم الشخصيات ان لم يكن اهمها على الاطلاق ، كما هو الحال عند قبائل الدنكا الافريقية ، وتعود تلك الأهمية الى أن المسئولية السحرية لصانع المطر ، قد جاوزت عملية الاستسقاء ، وتعدتها حتى شملت مختلف مناشط الحياة .

● **شيخ الأرض** : ومهمته الرئيسية هى توزيع الأرض على الأفراد والأسر وفقا لنظام معين ، وعليه ايضا ان يقوم بممارسة العديد من الطقوس السحرية الخاصة بالآفات التى تصيب المحاصيل .

● **الاختبارات الغيبية** : وبها تلجأ المجتمعات البدوية الى عدة وسائل وصور من الاختبارات السحرية لتتعرف على الشخص المذنب ، ولا تلجأ الجماعات البدوية الى اى من تلك الوسائل ، الا اذا اعوزها دليل مؤكد لاتهام شخص معين ، مثل تمرير لسان المتهم قرب قضيب محمى بالنار ، وفقا لاجراءات وطقوس خاصة . ولقمة الزقوم المعروفة فى البادية العربية ، حيث كان المتهم يجبر على شرب عصارة مجموعة من النباتات السامة ، وترتكز فلسفة هذه الاختبارات على أن البرىء لن يصاب بسوء ، ولكن المذنب يناله الأذى .. ولذلك كان المتهمون

يعترفون ـ اذا كانوا مذنبين ـ قبل أن يتم اكراههم على شرب العصائر السامة ، خوفا من الموت(١٣) ٠

* * *

● تصنيفات السحر عند المسلمين :

ذكرنا أن السحر ، هو ما يفعله الساحر من الحيل والتخيلات التى تحصل بسببها للمسحور ، ما يحصل من الخواطر الفاسدة الشبيهة بما تقع لمن يرى السراب فيظنه ماء ، وما يظنه راكب السفينة أو الدابة من أن الجبال تسير ، وهو مشتق من : « سحرت الصبى » اذا خدعته ، وقيل أصله الخفاء ، فان الساحر يفعله خفية ، وقيل أصله الصرف ، لأن السحر مصروف عن جهته ، وقيل : أصله الاستمالة ، لأن من سحرك فقد استمالك ٠

وقد اختلف الأئمة فى : هل السحر حقيقة أم لا ؟ فذهب المعتزلة ، وأبو حنيفة الى انه خداع لا أصل له ، ولا حقيقة ، وذهب من عداهم الى أن له حقيقة مؤثرة ، وقد صح أن النبى ﷺ سحر من لبيد بن الأعصم اليهودى ، فكان يخيل اليه أنه يأتى بالشىء ، ولم يكن ﷺ قد أتاه ، ثم شفاه الله سبحانه وتعالى(١٤) ٠

وحكى الرازى فى تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر ، وربما كفروا من اعتقد بوجوده ، ولكن أهل السنة أجازوا بأن الساحر يستطيع ان يطير فى الهواء ويقلب الانسان عن صورته الى صورة أخرى مختلفة ٠

وقالوا : ان الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعنية ، فأما ان يكون المؤثر فى ذلك هو الفلك والنجوم ، فلا خلاف للفلاسفة والمنجمين والصابئة ، ثم استدلوا على وقوع السحر ،

---

(١٣) صلاح مصطفى الفوال : علم الاجتماع البدوى ـ دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٨

(١٤) محمد بن على بن محمد الشوكانى : فتح القدير ـ الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ـ الجزء الأول ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ـ دار الفكر ، ١٩٧٣ ، ص ١١٩

وانه بخلق الله تعالى ، فى قوله تعالى : **« وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله »**(١٥) •

وقد ذكر ابو عبد الله الرازى أن أنواع السحر ثمانية ، هى :

النوع الأول ـ سحر الكذابين والكشدانيين :

وهم الذين يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة ، وهى السيارة ، وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتى بالخير والشر ، وهم الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل عليه السلام ، مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم فى مذاهبهم(١٦) •

ورأى المعتزلة واتفقت كلمتهم على أن غير الله تعالى لا يستطيع أن يخلق الجسم والحياة واللون والطعم ، واحتجوا بوجوه كثيرة ذكرها القاضى ولخصها فى تفسيره فى سائر كتبه •

ان العلم الضرورى حاصل بأن الواحد منا لا يقدر على خلق الجسم والحياة ابتداء ، فقدرتنا مشتركة فى امتناع ذلك عليها ، وهذا الامتناع حكم مشترك ، ولا بد له من علة مشتركة ، ولا مشترك ههنا الا كوننا قادرين بالقدرة ، واذا ثبت هذا فيمن كان قادرا بالقدرة ، أن يتعذر عليه فعلة الجسم والحياة(١٧) •

النوع الثانى ـ سحر أصحاب الأوهام والنفس القوية :

وعادة ما يؤثر الوهم فى الانسان ، فاذا قيل ان الانسان يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض ولا يمكنه المشى عليه اذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، وما ذاك الا لأن النفوس خلقت مطيعة للأوهام ،

---

(١٥) البقرة : ١٠٢

(١٦) مختصر تفسير ابن كثير ـ اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ـ المجلد الأول ـ الطبعة الثالثة ، بيروت ، دار القرآن الكريم ، ١٣٩٩ هـ ، ص ٩٩

(١٧) محمد الرازى فخر الدين : قصة السحر والسحرة فى ظلال القرآن الكريم ـ حققه وقدم له وعلق عليه محمد ابراهيم سليم ـ القاهرة ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٥ ، ص ٢٩

وقد اتفق العقلاء على ان الاصابة بالعين حق ، لما ثبت فى الصحيح ان رسول الله ﷺ قال : « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر لسبقته العين »(١٨) .

والاصابة بالعين امر اتفق عليه العقلاء وذلك ما يحقق ما يقال على أن النفوس التى تفعل ذلك تكون قوية جدا ، بحيث تستطيع ان تستغنى عن الاستعانة بالآلات والأدوات ، وقد تكون ضعيفة فتستعين بهذه الآلات . وان النفس اذا كانت مستعلية على البدن ، شديدة الانجذاب الى عالم « السماء » كانت كأنها روح من الأرواح السماوية ، فكانت قوية على التأثير فى مواد هذا العالم .

أما اذا كانت ضعيفة ، شديدة التعلق بهذه الذات البدنية ، فحينئذ لا يكون لها تصرف الا فى هذا البدن ، فاذا أراد هذا الانسان صيرورتها بحيث يتعدى تأثير من بدنها الى بدن آخر ، اتخذ تمثال ذلك الغير ، ووضعه عند الحس ، واشتغل الحس به ، فيتبعه الخيال عليه ، واقبلت النفس الناطقة عليه ، فقويت التأثيرات النفسية والتصرفات الروحانية ، ولذلك أجمعت الأمم ، على أنه لا بد لمزاولة هذه الأعمال من انقطاع المألوفات والمشتهيات ، وتقليل الغذاء والانقطاع عن مخالطة الخلق .

واذا كان الانسان مشغول الهم والهمة بقضاء اللذات ، وتحصيل الشهوات ، كانت القوة النفسانية مشغولة بها مستغرقة فيها ، فلا يكون انجذابها الى تحصيل الفعل الغريب الذى يحاوله ، انجذابا قويا ، ولا سيما وههنا آفة اخرى ، وهى أن مثل هذه النفس قد اعتادت الاشتغال بالذات من أول أمرها الى آخره ، ولم تشتغل قط باستحداث هذه الأفعال الغريبة ، فهى بالطبع حنون الى الأول ، عزوف عن الثانى ، فاذا وجدت مطلوبها من النمط الأول ، فلماذا تلتفت الى الجانب الآخر . فقد ظهر من هذا أن مزاولة هذه الأعمال لا تتأتى الا مع التجرد عن

---

(١٨) مختصر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ، ص ٩٩

الأحوال الجسمانية ، وترك مخالطة الخلق ، والاقبال بالكلية على عالم الصفاء والأرواح(١٩) .

النوع الثالث ـ سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية :

ويقصد بالاستعانة بالأرواح الأرضية « الجان » وهم مقسمون الى قسمين : مؤمنون وكفار وهم الشياطين ، واتصال النفوس الناطقة بها اسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينها من المناسبة والقرب ، ثم ان أصحاب الصنعة وأرباب التجربة ، شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدحن والتجريد ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير(٢٠) .

النوع الرابع ـ سحر التخيلات والأخذ بالعيون والشعوذة :

ومبناه على أن البصر قد يخطىء ، وينشغل بالشيء المعين دون غيره ، فمثلا اغلاط البصر تعتبر كثيرة ، بحيث أن راكب السفينة اذا نظر الى الشط ، راى السفينة واقفة ، والشط يتحرك ، وذلك يدل على أن الساكن يرى متحركا ، والمتحرك يرى ساكنا ، ومعنى ذلك أن النفس اذا كانت مشغولة بشيء ، يمكن أن يكون الاحساس شيئا آخر ، والناظر فى المرآة ، ويقصد رؤية قذى فى عينه ، فيراه ، ولا يرى غيره اذا كان فى وجهه ما هو اكبر من القذى فى العين ، وهذا يعنى أن الانسان يريد احيانا ان يرى ما يريد رؤيته .

واذا عرفت هذه المقدمات سهل عند ذلك معرفة هذا النوع من السحر ، ذلك أن الساحر الحاذق ، يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين ، ويأخذ عيونهم اليه ، حتى يستغرقهم الانشغال بذلك ، فيقوم بعمل شيء آخر ، وبسرعة شديدة ، فيبقى ذلك العمل خفيا لتفاوت الشيئين ، أحدهما انشغالهم بالأمر الأول ، والثانى سرعة الاتيان بهذا العمل .

---

(١٩) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٣٧ ، ٣٨
(٢٠) مختصر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ، ص ٩٩

وحينئذ يظهر لهم شيء آخر ، فيتعجبون لذلك ، ولو أنه سكت ، ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد أن يفعله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام الى غير ما يريد اخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله(٢١) ·

وقال بعض المفسرين : « ان سحر السحرة بين يدى فرعون ، انما كان من باب الشعوذة ، ولهذا قال تعالى : **« فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم »(٢٢)** · وقال تعالى : **« يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى »(٢٣) ·· قالوا : ولم تكن تسعى » · ولم تكن** تسعى فى نفس الأمر ، والله اعلم ·

النوع الخامس ـ سحر الأعمال العجيبة :

وهى التى تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية ·· والمثال على ذلك : الفارس على فرس فى يده بوق ، كلما مضت ساعة من النهار ، ضرب بالبوق من غير أن يمسه أحد ، ومثلما حدث مع سحرة فرعون الذين عمدوا الى الحبال والعصى ، فحشوها زئبقا ، فسارت تتلوى بسبب ما فيها من الزئبق ، فيخيل الى الرائى : أنها تسعى باختيارهم ··

النوع السادس ـ سحر الاستعانة بخواص الأدوية :

الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهانات ، مثل وضع بعض الأدوية التى تجعل العقل يصاب بنوع من أنواع التبلد ، اذا تناوله الفرد ، وبذلك تقل فطنته ، ومن المعروف أن تأثير المغناطيسات معروف ، حيث تجذب المعادن فى اتجاهها ، وقد اكثر الناس من استعمال ذلك ، وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق ، ويدخل فى ادعاء مخالطة النيران ، والامساك بالحيات السامة ·· الى غير ذلك فى مختلف المجالات(٢٤) ·

---

(٢١) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٤١ ، ٤٢
(٢٢) الأعراف : ١١٦ (٢٣) طـه : ٦٦
(٢٤) مختصر تفسير ابن كثير ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٠

النوع السابع ـ سحر تعليق القلب :

وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم ، وأن الجن يطيعونه ، وينقادون له فى أكثر الأمور ، فاذا اتفق ، وكان السامع لذلك ضعيف العقل ، قليل التمييز ، اعتقد أنه حق ، وتعلق قلبه بذلك ، وحدث فى نفسه نوع من الرعب والخوف ، واذا ما حدث الخوف ، ضعفت قواه الحساسة ، ويتمكن بذلك الساحر أن يفعل ما يشاء(٢٥) ·

ويروج هــذا على ضعفاء العقول ، وفى علم الفراســة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه ·

النوع الثامن ـ سحر السعى بالنميمة :

النميمة تنقسم الى قسمين : الأول : تكون الوقيعة بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين ، وهذا حرام متفق عليه ·

والثانى : يأخذ جانب الاصلاح بين الناس ، وائتلاف كلمتهم أو بين التفريق بين جموع الكفرة ، وهــذا أمر مطلوب ، كما جاء فى الحديث الشريف : « الحرب خدعة » ، ويفعل هذا الأفراد الذين يتميزون بالذكاء والبصيرة النافذة ·

وقال الرازى : هــذه جملة الكلام فى اقسام السحر ، وشرح انواعه واصنافه ، وقد ادخل كثير من هــذه الأنواع المذكورة فى فن السحر(٢٦) ·

ويرى ابن حزم أن حقيقة السحر ، تخييل مطلق ، ومحل التخييل هو ما لا يكون فى قدرة الشياطين أو الجن ، كقلب جسم الانسان الى حيوان حقيقى ، فهذا النوع لا يستطيع الساحر أن يتوصل اليه مهما بلغ سحره ، على أن هــذا لا يمتنع فى قدرة الله تعالى ، فالله عز وجل ، قادر على أن يمكن الساحر من هــذا الفعل ، ولكن يمكن القول بأن ذلك يمتنع فى حكمة الله وعدله(٢٧) ·

---

(٢٥) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٤٥

(٢٦) مختصر تفسير ابن كثير ـ مرجع سابق ـ ص ١٠٠ ، ١٠١

(٢٧) عبد الرحمن ابراهيم الحميضى : خخوارق العادات فى القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٦٤ ، ٦٥

وذكر ابن قيم الجوزية : بأن السحر هو سحر « التمريجات » وهو اشد ما يكون من السحر ، ولا سيما فى الموضع الذى انتهى اليه السحر ، واستعمال الحجامة على ذلك المكان ، الذى تضررت أفعاله بالسحر من أنفع علاجات السحر ، بالأدوية الالهية ، بل هى أدويته النافعة بالذات ، فانه من تأثيرات الأرواح السفلية الخبيثة ، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها ويقاومها من الأذكار والآيات والدعوات التى تبطل فعلها وتأثيرها(٢٨) .

ويرى ابراهيم محمد الجمل - وهو من المهتمين بدراسة السحر والجان من وجهة اسلامية - أن هناك سحر يسمى : سحر الحروف الهجائية : ويستعين فيه الساحر بقوة الحروف الهجائية ، والأعداد والكواكب والأجرام السماوية وذبذبتها ، وهو أصعب أنواع السحر ، ولا يقدم عليه الآن أى ساحر ، لأنه يتطلب منه معرفة كبيرة صحيحة بكل ما يتصل بالكواكب ، واقترانها وصعودها وهبوطها ، وأمزجتها وطبائعها ، ومقارنة كل ذلك بالحروف والأعداد التى يستعملها ، وقيمة كل منها ، وغير ذلك ، مما يحتاج الى معادلات جبرية ، ومعرفة المجاميع والتوافق ، وحسابات هندسية وفلكية يستحيل أن يلم بها أى ساحر « لأن اغلبهم كان قديما ، وكلهم حديثا جهلاء » مع العلم بأن فرقا فى الزمن قدره خمس دقائق ، يترتب عليه خطأ الحساب كله ونتيجته ، ولأن السحر بهذه الطريقة يستلزم غاية الحيطة والحذر لنسر العظيم الموجود فى الحروف والأرقام التى أدت الى عمل الاختراعات المفيدة ، لأنه بدون الأرقام وسرها الكبير ، لا يمكن لعالم الطبيعة أو الكيمياء التوصل الى أى اختراع كان(٢٩) .

ويتفق سيد عبد الله حسين فى تصنيفاته للسحر مع التصنيف الذى وضعه ابن كثير ، فقد صنفه الى سحر باستخدام الأرواح الأرضية (الجان)

---

(٢٨) ابن قيم الجوزية : الطب النبوى - اعداد المكتب العالمى للبحوث - اشراف عبد المنعم العانى - بيروت - مكتبة الحياة - ١٩٨٣ ، ص ١٢٣ ، ١٢٤

(٢٩) ابراهيم محمد الجمل : حقيقة السحر ، دراسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية - مرجع سابق - ص ٥١ ، ٥٢

وهى عادة ما تتسم بقدرتها على تنفيذ ما يرغبه الساحر ، ويتم الاتصال بها عن طريق قراءة بعض التعاويذ ، واطلاق البخور .

والى سحر قائم على التخيلات والأخذ بالعيون ، وسحر الكلدانيين ، وهم عبدة الكواكب .

* * *

أما سحر تسلط الروح فانه يتم عن طريق أهل النفوس القوية ، لأن النفس اذا كانت فى مرتبة أعلى من البدن تصبح صافية ، ويكون لديها القدرة فى التأثير على ما يطلب منها من اعمال مادية .

ومن هـذه التصنيفات المتعددة للسحر يتبين لنا انها تتفق فى غالبيتها فى المضامين الأساسية لعملية السحر ، ويمكن القول بأن السحر علم يخضع لقواعد واصول معينة ، وانه حقيقة ، بمعنى أنه ظاهرة موجودة وقائمة داخل المجتمعات الانسانية ، ولها تأثيرها المباشر فى بعض الأفراد .



الفصل الثالث

ماهيــة الدين وآراء العلماء فى تفسير نشاته

● ماهيــة الدين :

الدين من الظواهر التى يصعب وضع مدلول محدد لها ، ويرجع هذا الى عديد من الاعتبارات ، فمن الضرورى شـمول تعريف الدين على أرقى وأدنى صورة له ، لتنطبق على كل المجتمعات الانسانية ، رغم اختلاف ظروفها ، كما ان عدم الاتفاق من جانب العلماء على ماهية الدين البدائى ، ومدى التفرقة بينه وبين غيره من الأديان ، شكل صعوبة فى وضع تعريف محدد للدين ، هــذا بالاضافة الى ان ظاهرة الدين تناولها كثير من العلماء فى مختلف التخصصات ، ولهذا وجدنا انفسنا أمام عديد من وجهات النظر ، وعديد من المنطلقات التى عالج من خلالها طائفة كبيرة من العلماء ظاهرة الدين(١) •

ورغم تعدد المنطلقات ، واختلاف وجهات النظر فى تناول ومعالجة الظاهرة الدينية ، الا أن هناك شبه اجماع من جانب علماء الاجتماع على شيئين اســاسيين هما :

اولا ـ اتسام الظاهرة الدينية بالعالمية •

ثانيا ـ الوظيفة الاجتماعية للدين كواقع اجتماعى يمارسه الأفراد والجماعات فى المجتمعات •

لقــد اصبح من المؤكــد اتســام الظــــاهرة الدينيــــة بالعالميــــة (University) فالظاهرة الدينية لازمت الانســانية منذ نشاتها الأولى ، بحيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات الا وقام هيكله الاجتمـــاعى على اســاس دينى •

---

(١) ســامية الخشاب : علم الاجتماع الاســلامى ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٥ ص ١٣ •

فمصطلح الدين بصفة عامة . مشتق من الكلمة اللاتينية (Religere) وتشير الى الايمان بوجود قوى عليا مسيطرة ، أما الاسم (Religio) فهو يعنى موضوع هذا الايمان ، وهدف النشاط المرتبط به .

والأديان هى أنساق للمعتقدات والممارسات والتنظيمات ، تشكل الجانب الأخلاقى للسلوك ، والمعتقدات الدينية هى تفسيرات أو تأويلات للخبرة المباشرة ، بالرجوع الى البناء المطلق للعالم ، والى القوة فوق الطبيعية التى تسيطر على الكون وظواهره .

والسلوك الدينى سلوك مقدس ، وطقوس تفرض على الشخص ممارسات مقننة تحدد علاقة الشخص بالقوة العليا . ومن المعروف ان المعتقدات الدينية ، تختلف اختلافا بينا من دين الى آخر ، وفوق ذلك فهى تتفاوت داخل الدين الواحد طبقا لتنوع التجارب الدينية وتعددها ، وقد تعتبر ثانوية عند الكثيرين ، بينما تكون لها اهمية عند الآخرين .

ويعتبر الدين طريقا نظاميا أو تقليديا نحو النجاة أو الخلاص ، وتعتبر التقاليد الدينية نتيجة محاولة الانسان الدائبة الاستئثار بأفكاره الفلسفية والروحية ، وادخارها ، بحيث تكون متاحة أمام الفرد ، كلما واجه الحياة بتعقيداتها ومشكلاتها وتوتراتها(٢) .

وهناك تعاريف متعددة قدمها كثير من المفكرين لتوضيح مدلول كلمة الدين(٣) .

* * *

● آراء العلماء فى تفسير نشأة الدين :

يرى بعض العلماء ، ان نشأة الدين فى المجتمعات البدائية كان نتيجة لخوف الانسان البدائى من الطبيعة ، فقد كان يومه مشحونا بالمخاوف ، وعدم الاطمئنان ، بسبب عدم معرفته بظواهرها التى تملؤه بالرعب والخشية .

---

(٢) عاطف غيث : قاموس علم الاجتماع ـ مرجع سابق ، ص ٣٨٢ .

(٣) انظر سلوى على سليم : الاسلام والضبط الاجتماعى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ ١٩٨٥ ـ الفصل الرابع .

ولقلة معرفته العلمية بعلل الظواهر التى تحيط به احتمى بقـوى عليـا فوق الطبيعة ، وما دامت هنـاك قوى خارقة ، فينبغى عليـه ان يجد وسـيلة للتقرب منها أو التوصـل اليها ، وكانت وسـيلته الى ذلك السـحر .

وقد كان لتعدد الآلهة التى اعتقد فى وجودها صفة الجموح ، فكان لا يمكنه التنبؤ بما ستفعله ، لأنها آلهة متقلبة ، ولذلك تمذهب الدين وتنظم ، وكان لا بد من وجود خبراء متخصصين (السـحر) لهم تأثير اكبر على القوى الخفية ، لأن لهم بها اتصـالا مباشرا ، ويستمع الآلهـة لمـا يقولون ، ويزاول هؤلاء المتخصصون تأثيرا كبيرا فى عامة الناس(٤) .

وتعتقد المجتمعات بصورة عامة فيما يسـمى بعالم فوق الطبيعـة (Super Naturalism) ، بدرجات واشكال مختلفة ، وان هذا العالم الغيبى ، عالم غير عادى ، لا يخضع لمنطق او عقل وانما يخضع للتقبل والايمان الكامل بكل ما فيـه من اشـياء تبدو متناقضـة ، ويقوم الدين فى صوره المختلفة بتنظيم العلاقة بين الناس والحياة الطبيعية بصورة عامة ، بين تلك القوى الغيبية ومحاولة الحصـول على مسـاعدتها من اجـل نجـاح نشـاطات النـاس ورغبـاتهم ، ويبـدو منطقيـا ان الفـكر الدينـى قـد تدرج عنـد الجمـاعات المختلفـة ، من افـكار غيبيـة بسـيطة الى التجـريد فى الصـورة التى تعطينـا اياها الأديان السـماوية ، وكذلك اعتقـد عدد من العلماء بأن الفكر الدينى قد انتابته مراحل متعددة ، لكن علماء آخرين يرون عكس ذلك تماما ، وأيا كان الوضع فانه يمكننا ان نلقى الضـوء على هـذا القطاع من الحضارة بمعالجة بعض الموضوعات الدينية معالجة منفصلة فى صـورة ايديولوجيات خاصـة لها وجود فى عالم الحضارات البدائية والعليا الى اليوم(٥) .

---

(٤) كما دسوقى : الاجتماع ودراسة المجتمع ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ـ ١٩٧٨ ، ص ٢٩٦ .

(٥) محمد رياض ـ مرجع سـابق ، ص ٥٥٧ ـ ٥٥٨ .

ولم يتفق علماء الأديان على طريقة واحدة لمعرفة نشأة الدين الأولى ، ففريق منهم تعمق فى معتقدات وأساطير الأقوام البدائيين ، وفريق آخر ذهب الى البحث فى أوصاف آلهتهم .. ولهذا رأينا تحديد آراء العلماء فى نشأة الدين فى المجتمعات البدائية ، لارتباط الأديان فى ذلك الوقت بالأساطير وبالقوى السحرية .

* * *

لقد حاول كثير من العلماء والفلاسفة ، تفسير نشأة الدين ، وفق النظريات التى يسلمون بها ، ومعظم ما قيل فى هذا الصدد لا يقوم على أساس وصفى ، لأن ما يصدق على بعض الأديان لا يصدق على البعض الآخر ، هذا على الرغم من أنها آراء وتصورات وفروض لا تعتمد على استقراء الحقائق الدينية ، وتحليلها تحليلا علميا(٦) .

بل حاولوا أن يتخذوا من المجتمعات البدائية المعاصرة مادة يعتمدون بها على صحة وجهة نظرهم ، وهذا المنهج ليس منهجا علميا ، لأن هذه المجتمعات ، لا يمكن أن نقبلها على أنها ممثلة للشكل الأول للمجتمعات الانسانية فى فجر نشأتها ، اذ أن كل مجتمع انسانى يخضع لمبدأ التطور ، ولا يمكن أن يظل على الحالة الفطرية الأولى .

كما أن أصحاب هذه الآراء يحاولون تعميمها على جميع التجمعات الانسانية ، وفكرة التعميم هذه ، ان كان يمكن تطبيقها فى العلوم الطبيعية ، فمن الصعب التسليم بها ، لأنه لا بد لنا أن نبحث كل مجتمع على حده ، بحثا وصفيا تحليليا ، اذا أردنا أن ندرسه دراسة علمية(٧) .

---

(٦) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ـ ج ٢ ـ لجنة البيان العربى ـ ١٩٦٢ ، ص ٣٤٩ .

(٧) أحمد الخشاب : الاجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ، ص ١٠٣ .

لأن الدين فى الجماعات المتأخرة ، غيره فى المجتمعات الراقيـة ، لأنه ليس دينا سـماويا ، ولم ينزل به كتابا معينا ، كالتوراة أو الانجيل أو القرآن الكريم ، وهو ليس دينا للتوحيـد ، لأن ديانات التوحيـد المنزلة لها مستواها الحضارى الراقى ، ولم تأت الا فى أواخر مراحل التطور الدينى ٠

وتجدر الاشـارة الى أن التفسـيرات النفسـية لنشـأة الدين كلها خاطئة ، وان الدين بحكم انه ظاهرة اجتماعية شىء تلقائى يظهر بالفطرة الاجتماعية(٨) ٠

ويرى « دوركايم Durkheim » ان جميع الأديان التى نعلمها حتى اقدمها فى الظهور ، تحتوى على قـدر من التعقيد والتشـابك بما لا يتفق اطلاقا مع العقليـة البدائية ، وان فيها آراء لم تتكون الا بعد تطـور عميق(٩) ٠

ولهذا ينبغى علينا ـ لكى نتبين الصـورة الحقيقية لذلك ـ أن نتعرف على الآراء المختلفة لنشـأة الدين ٠

اولا ـ الاتجاه الطبيعى :

يعتمد انصـار الاتجاه الطبيعى الى دراسـة اديان الأقـــوام الآرية القديمة ، وسـاعدهم على ذلك دراسـتهم لأسـاطير الأقوام والشـعوب الهندية والأوروبية كالهنود واليونان والرومان والشعوب الجرمانية القديمة ، وقد تبين لهم ، بعد البحث ، عن ابطال الأسـاطير ، وقصص الآلهة الخرافية ، انها تتشـابه من حيث الأفكار والأفعال فى اسـاطير اقـوام مختلفة ، ودل ذلك على أن الأسـاطير نبعت من معين واحد ٠

---

(٨) عبـد العزيز عزت : اهم نظم الجماعات المتأخرة ـ مرجـع سـابق ، ص ١٦ ، ١٧ ٠

(٩) على النشار : نشأة الدين ، النظريات التطورية والمؤلهة ـ دار نشر الثقافة بالاسكندرية ـ ١٩٤٩ ، ص ٣٠ ، ٣١ ٠

ولما كانت هذه الأساطير جميعها تذكر مآثر الأشخاص الذين يمثلون مظاهر الطبيعة ، استنتج الباحثون أن الأقوام جميعا ، كانوا فى بدء حياتهم يعبدون مظاهر الطبيعة التى الهوها(١٠) .

ولذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه : أن الدين عبارة عن محاولة أولى من جانب العقل الانسانى لتفسير ظواهر الطبيعة ، وقد هداهم الى ذلك تأملهم فى النظام الطبيعى ، وما ينطوى عليه من نسق بالغ من التقدير والاعجاب ، فنسبوا ذلك الى قوة مستقلة عن البشر يخضع لها نظام العالم .

هذا الى جانب أن الظواهر الشاذة العنيفة التى تثير الرهبة والخوف فى النفس الانسانية ، قد أشعرتهم بأن قوى خفية تتربص بهم الدوائر ، وهى التى تسير العالم وتتصرف فى مصيره ، ومن ثم لا بد من العمل على ارضائها بتقديم الهدايا والقرابين ، والقيام حيالها بطقوس وعبادات وشعائر مقدسة(١١) .

ويمكننا أن نقسم أصحاب هذا الاتجاه الى فريقين :

الأول ـ يرى أن العامل الأساسى فى اثارة الفكرة الدينية هو التأمل ، والنظر فى مشاهد الطبيعة ، تأملا يجعل الانسان يشعر بمزيد من الدهشة والاعجاب ، وينتهى من التفكير الى الاعتقاد بأنه محاط بقوى مستقلة عن ارادة البشر ، يخضع لتأثيرها ، ولا قدرة للأفراد على تعديل نظامها .

ومن أشهر القائلين بذلك العالم الألمانى « ماكس موللر Max Muller » الذى وضع نظرية الطبيعة فى كتابه الشهير « بحوث فى علم الأساطير المقارن » والتى أشار فيها الى أن مظاهر الطبيعة كانت أول ما استرعى انتباه الانسان البدائى ودهشته ، عندما نظر الى الكون ،

---

(١٠) طه الهاشمى : تاريخ الأديان وفلسفتها ـ مرجع سابق ص ٧١ ، ٧٢ .

(١١) أحمد الخشاب : الاجتماع الدينى ـ مرجع سابق ص ٣٥٣ .

ولشـدة نفوذها وتاثيرها فى نفســه ، نبهت فيــه فكرة الدين ، فعبـد الطبيعــة ٠

وتفسير هــذا الاتجاه يعتمد على التجربة الحسـية التى تقرر : أنه لا يوجـد شيء فى العقل ما لم يكن موجودا فى التجربة ، ويطبق « ماكس موللر » هذا المبدأ على الدين مقررا أن عقائد الانســان مشتقة من تجاربه واحساساته ومشاعره الملحوظة ، فالتجارب الطبيعية التى تمر بها الانســانية ، وما تتعرض له من أحداث بيئية أوحت الى الانســان الأول بالشــعور الدينى ٠

الثانى ـ وعلى رأسه العلامة « جيفنس » يرى أن التأمل والنظر فى الظواهر الطبيعية العادية لا يكفى لاثارة الفكرة الدينية ، وانما الذى يثيرها هو الطبيعة الشــاذة الرهيبة التى تبعث الفرع والخوف فى نفس الانســان ، وتجعله يستفسر عن مصدرها ، فينسبها الى قوى خفيــة غيبية ٠٠ هذه القوى الخفية هى التى تســير العالم ، وتسيطر عليه وتوجهه وفق نزواتها ، ولذلك لا بد من العمل على ارضائها بتقديم الهدايا والضحايا والقرابين ٠

ويذهب الفريقان من انصار هذا الاتجاه الى أن هــذا هو اول مظهر للعبادة والتقديس ، أى أن عبادة مظاهر الطبيعة : هى أول عبادة اتجهت اليهــا المجتمعات الانســانية ، وعن هــذه العبادة ، تسلسلت العبــادات الأخرى فى مراحل تاريخية متعاقبة (١٢) ٠

* * *

● تعليق على هــذا الاتجاه :

يتفق هــذا الاتجاه مع التفكير الســحرى فكثيرا ما يقال : ان السحر فن يؤثر فى المخلوقات وفى الطبيعــة بطرق غيبية ، بغرض الحصــول على نتائج خارقة للطبيعة ، كما أن ســحر الكلدانيين كان يعتمد على عبادة

---

(١٢) أحمد الخشاب : دراســات فى النظم الاجتماعية ، المجتمعات المتخلفة والنظم الدينية ـ القاهرة ـ ١٩٦٤ ، ص ٢٠٨ ـ ٢١١

الكواكب السبعة ، ويعتقدون فى انها هى مصدر الخير والشر والسعادة ، واثبتت الدراسات الأنثروبولوجية : ان الكائنات الأولى التى اتجه الانسان الى عبادتها ، كانت عبارة عن فصائل من المملكة النباتية والحيوانية ، وكان الانسان ينظر اليها نظرته الى آلهة يتوقف مصيره وحياته على ارضائها ، وكان يؤلف معها وحدة دينية واجتماعية ، ذلك هو النظام الدينى الذى يعرف اجتماعيا باسم « التوتم » ولذلك فان الافتراض بان عبادة مظاهر الطبيعة هى أول عبادة ، ليس له ما يبرره(١٣) ٠

* * *

● نقد دوركايم :

يرى دوركايم ان الانسان يتجه حقيقة نحو الطبيعة محاولا تفهمها ، ويتأمل فى الكون محاولا تفسيره ، ولكن لا يمكن أن ينشأ الفكر الدينى عن هذه التأملات ، لأن الانسان يتأمل فى الطبيعة لكى يستطيع أن يتحكم ويؤثر فيها بشكل خاص ، وهذا المذهب هو عبارة عن مجموعة من الخرافات والأوهام ٠

ويرى أنه اذا كان موضوع الدين الأساسى هو تفسير مظاهر الطبيعة ، والتعبير عن قواها ، فليس من الممكن ان نرى فيها الا مجموعة من الخرافات والأوهام ، لا يمكنها ان تقيم نظاما ثابتا للانسانية ، والدين نظام ثابت عاشت الانسانية عليه اجيالا متعاقبة ، ويدل على حقيقة أرفع وأسمى من ان تكون فكرة تستند على أوهام وخرافات(١٤) ٠

كما يرى انه من غير المحتمل أن تكون العقائد الدينية بمثابة رد فعل طبيعى للانسان ، ازاء غرائب الطبيعة ، لأن الميزة الرئيسية للطبيعة هى الانتظام التكرارى ، الذى يبلغ حد التكرار الممل ، ففى كل صباح تظهر الشمس فى الأفق ، ثم تغرب كل مساء ، وفى كل شهر يتم القمر دورته ٠٠٠٠ الخ ٠

---

(١٣) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ـ مرجع سابق ، ص ٣٥٣

(١٤) سامى النشار : نشأة الدين ، النظريات التطورية والمؤلهة ـ مرجع سابق ، ص ٨١ ـ ٨٥

وعلى ذلك تسير الطبيعة فى مجراها العادى بلا تغيير ، ومن ثم فانها لا يمكن أن تؤدى الى انفعال كبير ، أو تؤثر على الرجل البدائى بحيث تثير انتباهه ، فالاعجاب بالقوى الطبيعية الكبرى ، بل والشعور باللانهائى ، لا يكفى لكى تكون عند الانسان فكرة الأشياء المقدسة ، وهى الأشياء التى يوجد بينها وبين الأشياء العادية فرق شاسع ، واذا افتقد الانسان فكرة الأشياء المقدسة ، فلا وجود للدين . لأنه يقوم على التفرقة بين ما هو مقدس ، وما هو غير مقدس .

كما أنه يرى أن تقديس الظواهر الكونية من شمس وقمر ونجوم ، لم يظهر فى المجتمعات الانسانية ، الا فى مرحلة متأخرة من تطورها الاجتماعى ، لأن الموجودات الأولى التى قام من أجلها التقديس ، كانت موجودات حيوانية ونباتية وضيعة وليست سامية ، كما أن الطبيعة ليست كل شىء فى الدين ، فهى لا تشغل فيه مكانا كبيرا ، ثم ان الانسان الأول ـ فى الحقيقة ـ لا يعبد الطبيعة ، ولا الأشياء الطبيعية ، لأنه يعبد القوى المبثوثة فى هذه الأشياء ، فكيف يتم تصوير هذه القوى بصفاتها المقدسة ؟ (١٥) .

والخلاصة ، أن الخرافات التى اختلقتها الأساطير أفضت الى فصل الآلهة عن مظاهر الطبيعة ، وجعلتها تتميز عليها ، ولهذا رأى « موللر Muller » أن عبادة الأرواح نشأت من دين الطبيعة ، وذكر أن البشر توصلوا الى فكرة الروح من الموت ، لأنهم لم يدركوا أن الموت ينهى الحياة ، وظنوا أن الروح بعد تركها للجسد ، تبقى خالدة ، وتعرج الى المقام الأعلى ثم قام الأعقاب بعبادتها ، ولكنها لم تصل أبدا الى درجة الآلهة التى تمثل مظاهر الطبيعة .

وانطلاقا من هذا الاتجاه الطبيعى ، تصور الانسان البدائى أن فى مقدوره اخضاع ظواهر الطبيعة لمشيئته وارادته ، اذا ما خرجت عن النظام المألوف الذى تسير عليه ، وابتدع لذلك وسائل أهمها السحر ،

---

(١٥) حسن شحاته سعفان : الدين والمجتمع ـ مرجع سابق ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦

وما يقوم عليه من اعمال مادية ، أو قراءة بعض التعاويذ أو أداء طقوس خاصة .. فهو مثلا يلجأ الى السحر . لطلب سقوط الأمطار ، اذا تأخر موسمها .. ثم تطور هذا النظام الى عبادة قوى الطبيعة ، كالشمس والقمر .. الخ . وصنع لها تماثيلا يقدم لها الشعائر والقرابين ، تقربا وزلفى ، للاستجابة لتحقيق رغباتهم عن طريق بعض الكهنة ، الذين كانوا يقومون بالأعمال السحرية فى هذه المجتمعات .

وفى أواخر هذا العصر ، ظهرت عبادة الأرواح (الأسلاف) بعد أن رفعهم الانسان الى منزلة الأرباب والآلهة أو الوسطاء بين الناس والآلهة(١٦) .

* * *

ثانيا ـ الاتجاه الحيوى الروحى :

يرتكز هذا الاتجاه على عبادة الأرواح ، وينسب اساسا الى العلامة الانجليزى « تايلور Tylor » الذى كان من اهم أعماله : محاولة تفسيره لنشأة الدين فى كتابه المعروف باسم « الثقافة البدائية » .. ويرى أن الاعتقاد فى الأرواح وعبادتها ، تعتبر من أقدم الديانات ، وأن الاعتقاد فى النفس الانسانية يمثل أساس الدين عند الرجل البدائى .

ويعتقد أن الانسان البدائى بدأ أولا بلا دين ، ثم حدث أن تكونت لديه شيئا فشيئا فكرة وجود روح أو نفس انسانية ، على اثر رؤية الأحلام فى منامه ، ومن ثم توصل الى الاعتقاد بوجود روح للانسانية ، خالطا بذلك بين ما يراه فى الأحلام ، وما يراه فى الحياة الواقعية ، وبعد ذلك توصل الى أن هناك روحا تملك قوى خارقة للعادة ، وشيئا فشيئا بدأ فى تقديسها وعبادتها ، واعتقد كذلك أن الانسان مكون من جسم مادى لا ينتقل من مكانه اثناء النوم ، وجسم آخر متصل به ، يتركه اثناء النوم ، ويستطيع أن يذهب الى أماكن بعيدة ، ويتجول

---

(١٦) صوفى أبو طالب : تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ـ القاهرة ـ ١٩٥٤ ، ص ٣٢ .

فى أماكن فسيحة ، ومن هذين الجسمين يتكون الانسان ، والروح هى سر الحياة ، لأنها اذ تترك الجسم فى حالة النوم ، انما يتسبب عن خروجها ضعف الحياة أو شللها .

وعندما يموت الانسان ، فان النفس تتركه ، فالموت عنده يشبه النوم ، واذا انفصلت النفوس الانسانية بعد الموت ، فانها تنتشر فى الفضاء ، ويكون لها مطالب وحاجات وانفعالات كالأجسام التى كانت متصلة بها ، فهى اذن تستطيع ان تقوم بأعمال خيرة وأعمال شريرة ، ولذلك كانت أول ديانات نشأت هى عبادة الأرواح والأجداد والمتوفين من أفراد القبيلة ، لأن أول طقوس دينية كانت تقديس الموتى(١٧) .

كما انتقل الانسان البدائى بعد عبادة الأرواح الى عبادة الحيوانات والجماد والنبات والظواهر الطبيعية ، ورأى أن تلك الظواهر الكونية تسيرها قوة خارقة .

ويفسر « تايلور Tylor » ذلك : بأن الرجل البدائى كان يتسم بعقلية تشبه عقلية الأطفال ، ومن ثم فهو يخلط بين الجماد والأشياء الحية ، وانها ـ فى نظره ـ مزودة كلها بأرواح تستطيع ـ كالروح الانسانية ـ أن تقوم بأعمال خارقة للعادة ، كما انها تستطيع أن تنفع وأن تضر(١٨) .

* * *

● **نقد رأى تايلور :**

لا يمكن الأخذ بتفسير « تايلور Tylor » هذا للدين ، لأنه يرجع نشأته الى الأحلام والأرواح بشكل عام ، لأن الدين مظهر فطرى فى الطبيعة الاجتماعية للانسان ، والأحلام أيضا مظهر فطرى فى طبيعته النفسية ، والنوم مظهر فطرى فى طبيعته الحيوية ، وكل طبيعة من هذه تختلف اختلافا تاما فى نوعها ، ويجب الا نخلط احداها بالأخرى ، فكل واحد منها مستقلة تمام الاستقلال عن الأخرى .

---

(١٧) Tylor. E. B., Brimitive Culture . 3ed. London, 1971, pp. 185 - 191 .

(١٨) Ibid., pp. 193 - 194.

كما أنه يرى ان الانسان البدائى كالطفل ، لا يميز بين ما هو جماد وكائن حى ، واذا كان الانسان البدائى يعتبر كل شىء على مثاله ، فانه لا يتبع ذلك ان يدرك ان الكائنات المقدسة شبيهة به ، لأن فكرة تجسيد الآلهة فى صـــورة انسانية ليست فكرة بدائية .. حيث أثبتت البحوث الأنثروبولوجية ان الكائنات المقدسة الأولى كانت اما فى صورة حيوانية أو نباتية أو جماد أو مظهر من مظاهر الطبيعة ، اما الصورة الانسانية فلم يتم التعرف عليها الا فى وقت متأخر(١٩) .

* * *

● **نقد دوركايم لهـذا الاتجاه :**

يرى « دوركايم **Durkhiem** » أنه اذا كان **هذا الاتجاه** الحيوى الروحى صادقا ، فسينشأ عنه تصورات دينية هى فى مجموعها عبارة عن هلوسات وتصورات غير قائمة على أساس موضوعى ، لأنه يفترض نشأة الآلهة والأرواح عن فكرة النفس ، وأن الموجودات المقدسة لا تكون الا عبارة عن تصورات يتم تخيلها ، ويستحضرها الانسان دون أن يعلم لها فائدة أو غــــاية .

كما أنه ليس من المعقول اطلاقا أن العقائد الدينية التى احتلت مكانا ممتازا فى تاريخ الانسانية ، واستمدت منها الانسانية النشاط الحيوى لحياتها ـ ليست الا نســيجا من الأوهام ، بل ان القــانون والأخلاق والفكر العلمى نفســه ، نشأ عن الدين وامتزج به فترة طويلة ،. فكيف يكون الدين اذن مجموعة من الخرافات والأوهام على الرغم من أنه استطاع بصفة ثابتة أن يصوغ المشاعر الانسانية ويشكلها ؟

وقد انصب نقد دوركايم لهذا الاتجاه على عدم اجتماعية هذا الدين ، ويلاحظ ان دوركايم كان غير محايد فى نقــده ، لأنه كان يمهد لمذهبــه الاجتماعى فى التوتمية الاسترالية(٢٠) .

---

(١٩) عبد العزيز عزت : أهم نظم الجماعات المتأخرة ـ مرجع سابق ، ص ٢٣ ـ ٢٦

(٢٠) على سامى النشار : نشأة الدين ـ مرجع سابق ، ص ٥٦ ـ ٥٨

ويتفق هذا الاتجاه الدينى مع سحر الاستعانة بالأرواح ، سواء اكانت أرضية ـ مثل الجان ، أو سماوية مثل استجلاب روح احد الأفراد ـ وهذا النوع من السحر وجد فى هذه المجتمعات وما زال له وجودة حتى الآن • فبعض السحرة يلجأون الى الاستعانة بالأرواح لتنفيذ أغراضهم « وكله باذن الله » •

* * *

ثالثا ـ الاتجاه التوتمى :

انتهت المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع بعد تحليل ودراسة النظام التوتمى الى أنه اقدم مظهر دينى ، فقد ربط الأفراد انفسهم فى المجتمعات البدائية برمز مقدس اسمه التوتم ، وهذا الرمز قد يكون مستمدا من المملكة الحيوانية أو النباتية أو القوى الطبيعية أو الجماد(٢١) •

ويعتقد الأفراد انهم ينحدرون من صلبه ، ويؤلفون معه وحدة دينية واجتماعية ، ويتخذونه شعارا لهم فلا يمسونه بسوء ، بل يقومون حياله بطائفة من الطقوس والشعائر صونا لقدسيته وعظم خطره ، وكانوا يعتقدون أنهم يشاركونه فى طبيعته ، وأن المبدأ التوتمى يسرى فى أجسادهم ، وأن مصيرهم مرتبط بمصير هذا الكائن المقدس ، فاذا أصابه أذى ، انعكس على الجماعة التوتمية بأسرها ، وهذه الأفكار تفسر لنا أهمية الطقوس والشعائر المعقدة التى كانوا يقومون بها حيال توتمهم(٢٢) •

كما أن الأفراد الذين ينتمون الى نفس التوتم يعتبرون أنفسهم اقارب فيما بينهم ، ومعنى ذلك : ان القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم ، وانما يربط أفراد القبيلة وحدة قرابية اصطلاحية معنوية تقوم على أساس اشتراكهم فى اتخاذ التوتم اسما لهم ، واتحادهم فى النظم الاجتماعية ، واشتراكهم فى نفس العادات والتقاليد والطقوس الدينية التى

---

(٢١) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ـ مرجع سابق ، ص ٤٤٧
(٢٢) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ـ مرجع سابق ، ص ٣٥٧

يلتزمون بأدائها للتوتم ، وتقوم الديانة التوتمية على أساس تقديس توتم العشيرة تقديسا يحرم لمسه اذا كان جمادا الا فى مناسبات دينية خاصة ، بقصد التبرك ، وقضاء حاجات المجتمع ، والتكفير عن خطيئته ، أو رفع كارثة أحاطت بالمجتمع ، كما يحرم قتله أو صيده ، اذا كان من الفصيلة الحيوانية ، ويحرم أكله ، أو قطعه ، اذ كان من المملكة النباتية(٢٣) ٠

وقد ظهرت كلمة « توتم Totem » كمصطلح فى علم الأجناس فى أواخر القرن الثامن عشر ٠ وظهرت للمرة الأولى فى كتاب(Long) الهندى وكان للتوتم وظيفة أخلاقية الى جانب كونه مبدءا دينيا ، فهو مبدأ أخلاقى، حيث ان البدائى يقوم بالعبادة وفقا لما قام به أسلافه ، وليست هناك قوة ترغمه على هذه العبادات الا قوة الأخلاق الجمعية التى تفرض عليه هذا الواجب الدينى ٠

ولذلك كان التوتم هو منبع الحياة الأخلاقية للعشيرة ، فهو قوة أخلاقية جمعية ، الى جانب قوته الدينية المقدسة ، وللمبدأ التوتمى فيما يرى دوركايم : أشكاله أو صوره المتعددة ، غير ان أهم تلك الصور هى : المانا ٠

فاذا كان التوتم هو الصورة الخارجية المحسوسة ، فان المانا التوتمية هى الصورة العقلية الداخلية للمعتقد الدينى ، وهى أساس الدين التوتمى ، ولذلك كان التوتم هو رمز لتلك المانا التوتمية ٠٠ وهو صورة الاله التوتمى ، لأنه رمز للاله ، وشعار الجماعة وعلم العشيرة(٢٤) ٠

والديانة التوتمية تعتبر نظاما من أقدم النظم الانسانية التى انتشرت فى المجتمعات البدائية ، فقد كانت تضع الضوابط والنظم التى تسير عليها الحياة بانشطتها المختلفة ، وكانت تبلغ فى دقتها وتعقيدها درجة لا تختلف عن نظم المجتمعات المعاصرة ، ان لم تزد عن كثير منها فى

---

(٢٣) احمد الخشاب : الاجتماع الدينى ـ مرجع سابق ، ص ١٢٠

(٢٤) قبارى محمد اسماعيل : اميل دوركايم مؤسس علم الاجتماع المعاصر نظريا وتطبيقيا ـ مرجع سابق ، ص ٢٣٥ ، ٢٣٦

معظم نواحى الحياة ، فالانسان مدنى بطبعه ، لا يستطيع أن يعيش الا فى مجتمع ، ولا تستقيم به الحياة الا اذا خضع لمجموعة من النظم والقوانين والضوابط التى تحدد سلوكه تجاه نفسه ، وتجـاه الآخرين من افراد جماعته(٢٥) .

وللتوتم ثلاثة وظائف هامة يؤديها فى الجماعات المتأخرة هى :

أولا : الدلالة أو الرمز الذى يميز البطون والعشائر بعضها عن بعض ، وهذه هى **الوظيفة السياسية للتوتم** .

ثانيا : ينظر الى التوتم عند المجتمعات المتأخرة ، كأنه الأب الروحى للبطون التى يعيشون فيها ، فهم يعتقدون أنهم ينزلون من سبطه ، فان كان ذئبا ، تصوروا انهم ذئابا ، وان كان دبا توهموا أنهم دببة .

ثالثا : أن التوتم له صفة القداسة ، فهو الههم ، ومظاهر القداسة عندهم تتلخص فى « اللامساس » اى عدم لمسه ، أو اكله ، وهو لا يمثل فردا معينا ، وانما فصيلة بذاتها ، اى أن التحريم يشمل أفراد الفصيلة كلها ، واحيانا قد يتم لمس التوتم او اكله ، ولكن بشروط دينية خاصة وباقامة بعض الطقوس فى اوقات محددة لأغراض دينية معينة ، لهـا فائدتها الاجتماعية ، كاكتسـاب الصحة ، او لغزارة النسل ... الخ(٢٦) .

وللتواتم درجات متفاوتة فى القدسية ، ابرزها خطرا توتم العشيرة ، وتوتم المكان ، ثم توتم الفرد .

وكانت العشائر التوتمية ثلاثة أقسام :

الأول : يسير على عبادة توتم الأب ، فكان الأب هو محور القرابة والى توتمه ينتسب جميع الأفراد .

---

(٢٥) على عبد الواحد وافى : التوتمية ، أشهر الديانات البدائية ـ القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٥٩ ص ١٠٧

(٢٦) عبد العزيز عزت : أهم نظم الجماعات المتأخرة ـ مرجع سـابق ، ص ٢٦ ، ٢٩

الثانى : يسير على عبادة توتم الأم ، حيث كانت الأم أو من يتصل بها هى محور القرابة ، والى توتمها ينتسب جميع الأفراد .

الثالث : وهم قلة من العشائر ، فقد كانت تعبد توتم المكان الذى تضع فيه المرأة ، أو تشعر فيه ان الجنين قد تحرك فى بطنها وهى بصدد الاقامة فيه(٢٧) .

وهناك تفسيرات متعددة للتوتمية الفردية ، فمثلا : نجد أن « فريزر Frazer » يفسر التوتمية الفردية بأنها العبادة التى يتجه بها الفرد نحو حاميه ، كما هو الحال عند زنوج استراليا ، وبعض القبائل فى أمريكا الشمالية ، ولذلك تكون القرابة أبوية فقط ، أو أمومية فقط .

والاحترام للتوتم واجب ، ويتم التعبير عنه بتقديم القرابين اليه ، والتقرب منه بالدعوات ، والتبرك به عن طريق حمل اسمه أو رسمه شعارا على أيديهم أو أى جزء من أجسامهم ، مع العلم بأنهم جميعا ينتمون الى اسم واحد ، قد يكون اسم الأب أحيانا ، وتكون الأم أحيانا أخرى .

ويرى دوركايم ومدرسته أن القرابة الأمومية أسبق وأقدم من القرابة الأبوية ، والمعتقد أن نظام التوتم من أصول مختلفة قد ظهر فى أماكن متباينة ، ومتباعدة ، ويرجع هذا الى حتمية ارتباط النظم الاجتماعية ، ومنها الدين ، بالشكل الاجتماعى المورفولوجى العام للمجتمع البشرى ، أو بحجم المجتمع ومستواه الحضارى .

وتحتوى الديانة التوتمية على عنصرين اساسيين :

عنصر نظرى ، وعنصر عملى ، يتعلق أحدهما بالمعتقدات ، ويتعلق الثانى بالطقوس ، وتنصب المعتقدات على الأفكار التى تسود فيما بينهم ولها صفة القداسة والاحترام(٢٨) .

---

(٢٧) مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ـ مرجع سابق ، ص ٣٥٨ .

(٢٨) Themas, O. Dea., The Sociology of Religion Prentice Hal of India New Delhi, 1966, pp. 134 - 136.

ويجدر بنا أن نشير هنا الى أن التوتمية ليست اسما يطلق على أفراد عشيرة ، بل هى نظام اجتماعى معقد نمتاز به بعض القبائل الاسترالية ، والقبائل الأمريكية من السكان الأصليين ، وأن الاسم الذى تحمله العشيرة هو اسم نوع معين من الأشياء المادية ، أو الحيوانية تعتقد العشيرة أن لها به صلات وروابط خاصة ، ولكل عشيرة توتمها الخاص بها ، والتوتم ليس اسما فحسب ، بل هو رمز للعشيرة ، كتلك الرموز أو الاشارات أو الأعلام التى تتخذها المجتمعات المعاصرة ، وفى العادة : كان يتم رسم التوتم أو نقشه على كل شىء له قيمة اجتماعية ، فيتم نقشه على الأسلحة ، وجدران الأكواخ ، والمتاع ، والأجسام ٠

وسر تحريم أكل التوتم يمكن تفسيره بفكرة المانا المقدسة ، بمعنى أنه يمكن أن نرجع هذا التحريم الى الاعتقاد بأنه يكمن فى النبات أو الحيوان التوتمى ـ عنصر المانا ـ المقدسة الذى يتلف كل شىء غير مقدس ٠

وبجانب تحريم أكل التوتم ، يحرم أيضا قتله اذا كان حيوانا ، كما يحرم قطعه اذا كان نباتا ، وتوجد تحريمات أخرى ، كأن يحرم لمس جزء من أجزائه(٢٩) ٠

ومما تقدم يتضح لنا : أن التوتمية متصلة أوثق اتصال بالتكوين الاجتماعى للعشائر ، ومن المعلوم أن التكوين الاجتماعى العشائرى هو أبسط نظام اجتماعى ، وعلى هذا ، فالتوتمية التى تتصل بهذا النظام اتصالا وثيقا هى أقدم دين من الأديان الوضعية ، وهى مذهب فى الوجود يفسر الكون ويشرح عناصره المختلفة(٣٠) ٠

* * *

● نقد الاتجاه التوتمى :

يذهب المخالفون لهذا الاتجاه : الى أن التوتمية لم تكن أصل العقيدة

---

(٢٩) أحمد الخشاب : الاجتماع الدينى ـ مرجع سابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٤ ٠

(٣٠) على سامى النشار : نشأة الدين ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ ٠

الدينية ، لأنها تنشأ بعد اتساع القبائل واعترافها بأنظمة الزواج ، وآداب المعاملات ، وليست هذه المرحلة أولى المراحل فى تطور الاعتقاد(٣١) .

وبمعنى أدق : هل التوتمية تمثل دينا ؟

لا يمكن أن تكون دينا بمعنى الكلمة ، لأن الدين الحقيقى هو ما يحاول الاحاطة بالكون كله ، أو يضع تصورا عاما له ، وهذه هى المحاولة العظمى التى أرادها « دوركايم » حين أراد أن يجعل التوتمية مذهبا فى الوجود ، دينا يفسر الكون ، وهو فى هذا يشبه التوتمية بأى دين آخر من الأديان التى قامت بهذا العمل(٣٢) .

كما يذهب الأب « شميدت » الى أنه ليس هناك ما يبرر الزعم بأن التوتمية أقدم دين للبشرية ، او أنها المصدر الأول الذى نشأت عنه بقية الأديان المعروفة فى المجتمعات المتأخرة ، كما وصفها دوركايم : « بأنها أقدم عبادة على الاطلاق » .. وكل ما يمكن قوله فى هذا الصدد : أن التوتمية نظام اجتماعى عرفته الانسانية وطبقته فى المجتمعات البشرية ، فى فترة من فترات التاريخ .

وليس من شك أن الناس عرفوا تقديس الأسلاف قبل أن يعرفوا التوتمية ، كما وجدت قبائل شتى تتخذ التواتم ، وتعبد أربابا غيرها ، ووجدت قبائل لا تخلع على التواتم صفة الأرباب على الاطلاق(٣٣) .

وينبغى ملاحظة أن الانسان فى التوتمية لا يعبد الحيوانات او النباتات ، ولا يقف موقف المتعبد أمامها كآلهة ، لأنه اذا كانت تلك الحيوانات مقدسة ، فهو أيضا مقدس ، وقيمته القدسية لا تقل اطلاقا عن قيمتها ، فهو اذن من هذه الناحية على قدم المساواة مع الحيوان التوتمى ، بل كان للانسان نوعا من حق الملكية على توتمه(٣٤) .

* * *

---

(٣١) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .
(٣٢) على سامى النشار : نشأة الدين ، مرجع سابق ، ص ١٢٦ .
(٣٣) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٤٨ .
(٣٤) على سامى النشار : نشأة الدين ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

رابعا ـ المـانا :

والمـانا هى شىء مقدس فوق الطبيعة ، وتتمثل فى القوة الجسـمية التى توجـد عند الأفراد ، والمـانا ليست قوة متصلة بشىء ما بل ان كل شىء يمكن ان يكون مزودا بها ، فالأرواح مزودة بها ، ويمكن ان تنقلها ، وكل الديانة الملانيزية تقوم على أساس العمل على امتلاك المـانا ، ومحاولة استخدامها لتحقيق مصالح الأفراد ، ولكن بجانب هـذا ، فهى تدل على التأثير والمجد والعظمة والسـيادة والتنبؤ ٠

وهـذه المـانا توجد فى كثير من الشـعوب البدائية ، ولكن تحت اسـماء مختلفة ، ويستخدمونها فى النفع أو الضرر حسب الحال ، كما يمكن استخدام هـذه القوى فى السحر والتأثير على الظواهر الطبيعية ٠

وممثـلو هـذا المذهب الأوائل هـم : (King , Marett, Preuss) وقد ذهب هؤلاء الى أن تلك الحالة الدينية التى يصورها المذهب الحيوى (الروحى) مسبوقة بحالة سابقة ، لم يكن البدائى يتصور له فيها نفسا فردية ٠ بل كان يعتقد فى قوة منبثة خلال الوجود كله ، وعلى هـذا كان السحر قبل الدين ، لأن فكرة المـانا ، فكرة سحرية ، بجانب قوتها الدينية ، غير أن (Preuss) ذهب الى أن فكرة القوة السحرية تحتوى على مجموعة من الصفات الشـاذة(٣٥) ٠

ويرى « دوركايم » أن فكرة المـانا ، هى الصورة الأولى لفكرة الطاقة ، تلك الفكرة التى لعبت دورا هاما فى الطبيعة الحديثة ، كما أن معظم علماء الاجتماع أصـبحوا يطلقونها على جميع أنواع القوى غير الطبيعية ، التى يعتقد الرجل البدائى ، أو الرجل المتدين ، أن من شأنها أن تؤثر على الانسان والحيوان والجماد ، وتحدث كل ما نراه من ظواهر ، فمثلا فى الديانات التى سادت العالم الغربى القديم ، نجد ان من اختصاص الآلهة مراقبة البرق والرعد والمطر ، وجميع الظواهر التى نسميها بالطقس ، والآلهة هى التى كانت تجعل النبات ينمو ، والحيوانات تنجب ، ولمـا

---

(٣٥) المرجع السابق ، ص ٦١ ٠

جاءت المسيحية نقلت الى « اله المسيحيين » كل الاختصاصات التى من شأنها أن ترفع أرواح الأفراد ، ونفوسهم الى اعلى ، أو أن يرسل بهم الى الجحيم(٣٦) .

كما أن هناك اعتقادا عاما فى القوى الخارقة للطبيعة عند البدائيين ، ولكن هناك اختلاف أيضا فى تلك الاعتقادات ، فهذه القوى العليا قد تكون غامضة ، أو شخصية أو غير شخصية ، واحدة أو متعددة ، وعند معظم البدائيين سلم متدرج من الآلهة ، يرأسه أبو الآلهة ، أو الالة الأسمى عند بعض القبائل ، فى حين يوجد عند قبائل « كانجولو Kngolo » فى أمريكا ، والأزالوس فى جنوب افريقيا ، فكرة عن وحدة الآلهة ، كما فى الديانات الحديثة .

وتجدر الاشارة الى أن الاعتقاد بقوة المانا فى الحضارات المادية البسيطة غالبا ما يكون أشبه « بالسحر » ويحاول الزعماء والرؤساء الروحيون أن يضبطوا أو يرغموا القوى بواسطة التمرينات السحرية ، مثل حك الحجر على الجزء المريض من الجسد ليشفى ، أو حمل باقة من الريش لطائر معين لدرء الخطر عن الصيد(٣٧) .

***

● النقد الموجه اليها :

أهم الانتقادات التى وجهت اليها انها تخلط بين الدين والسحر ، بل ان ممثلوها يذهبون الى أن السحر سابق فى وجوده على وجود الدين ، فهم يرون أن المجتمعات الانسانية قد شغلت بالمعتقدات السحرية ، قبل أن يصل اليها الدين .

كما أن فكرة المانا لا يتضمن تعريفها أى اشارة الى ميزتها الدينية ،

---

(٣٦) حسن شحاتة سعفان : الدين والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ٨٣ .

(٣٧) أحمد الخشاب : الاجتماع الدينى – مرجع سابق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

فقد نسب اليها « سودر بلوم Soder Blom » افكارا ذات صبغة علمانية بجانب ما لها من افكار دينية(٣٨) .

***

● دوركايم وتفسيره لنشاة الدين :

لقد اتجه دوركايم فى تفسيره لنشأة الدين الى ان الدين عند الشعوب البدائية القديمة لا يقوم اصلا على فكرة الاله ، وقيام كائن اعظم له من القدرة والحول ما يفرض ارادته العليا المقدسة على متبعيه والمؤمنين به ، ذلك لأن العقلية المتأخرة لم تبلغ من الرقى ما يمكنها من ادراك الاله .

فالديانة التوحيدية من الصعب وجودها عندهم ، ثم أن فكرة الاله الواحد ليست هى الأساس الرئيسى لقيام الأديان ، لأن هناك اديانا تقوم احيانا على تعدد الآلهة ، كالحال عند اليونانيين القدماء ، واحيانا هناك اديانا لا نجد فيها فكرة الالة اطلاقا ، كما هو الحال فيما يسميه علماء المدرسة الفرنسية بالديانات القومية ، كالديانة البوذية والديانة الكنفوشيوسية ، وانما يقوم الدين عند دوركايم على فكرة المجتمع بأعتباره هو الوسيلة لتوحيد افراده(٣٩) .

فقد قام دوركايم بدراسة الطقوس والأفكار الدينية لقبائل «أرونتنس» الاسترالية التوتمية ، ولم يكن اختياره لهذه المجتمعات عبثا ، بل لأنها تمثل فى نظرة اكثر الشعوب بدائية ، ومن ثم فهى تمثل الحالة الدينية الأقرب الى الحالة الطبيعية للمجتمعات ، ويرى أن قبائل ارونتاس الاسترالية تتميز بصفتين اساسيتين هما :

الأولى : ان كل افراد العشيرة يعتبرون اقارب ، فهم جميعا يحملون اسم العشيرة التى ينتمون اليها ، كما ان وحدة الاسم كافية لتربط بينهم .

---

(٣٨) على سامى النشار : نشأة الدين ، مرجع سابق ، ص ٦٥ .
(٣٩) عبد العزيز عزت : اهم نظم الجماعات المتأخرة ـ مرجع سابق ، ص ٢٤ .

الثانية : الاسم الذى يحمله افراد العشيرة هو اسم شئ مادى كحيوان أو نبات أو جماد ، وهـذا ما يسمى بالتوتم ٠

والتوتم لا يكون اسم العشيرة فقط ، بل هو أيضا شارة للعشيرة ورمزها ، كما ترسم صورة التوتم على قطع من الحجارة أو الخشب ليستخدم فى الطقوس الدينية ، مما يدل على ان التوتم يحمل كذلك نفعا دينيا ، فهو يمثل الأشـياء المقدسة ، ويثير الشـعور الدينى عند الأفراد ؛ اذ يحرم أكل التوتم ، كما ان التوتم يعتبر « تابو » وكل خروج على القواعد الخاصة به تواجه بعقاب صارم(٤٠) ٠

ويرى دوركايم أن قداسة التوتم تأتيه من قوته الفيزيقية ، حيث ان بعض التواتم يمكن أن يقتله الانسان ، أو يذبحه ، وبعضها جامد لا حراك فيه ، وانما اتت القداسة للتوتم من قوة مفروض عليه أن يمثلها ، فهو ليس الا شكلا ماديا يمثل جوهرا لا ماديا ، يتصوره الأفراد ، وهو يمثل القوة المنتشرة فى الأشـياء المتعددة ، وهـذه القوة هى محل التقديس ، ويعتبر التوتم حافظا للنظام الاجتماعى والأخلاقى ٠

كما يرى : أن نشأة الأفكار الدينية ، ومصدر الشـعور الدينى عندهم ، هو فى الواقع تلك القوى التى يتخذ منها المجتمع شارات له ؛ وهى تعبير على أنها الشـكل الخارجى المقوم للتوتم ، كما أنها رمز لمجتمع معين ، ذو حدود معينة : وهو العشيرة ، كما أن توتم القبيلة يعبر عن القبيلة نفسها من خلال حيوان أو نبات أو جماد ، ويستطيع المجتمع أن يستثير الاحساسات الدينية بالنسـبة للأفراد ، كنسـبة الالة أو المعبود اليهم ، لأن الاله موجود ، يعتمـد عليه الانسان ، كما ان المجتمع قوة يعتمـد عليها الأفراد ، فالمجتمع يزيد من قوة الأفراد بما يحصلون عليه من ميزات اجتماعية ، كما أنه يرفع من مستواهم ، والأفراد مدينون للمجتمع بكل ما يتمتعون به من خيرات وحضارة ٠

---

(٤٠) E. Durkheim ., The Elementary Forms of Religious Life Trans by Joseph Word Swain, London, 1957, Second impr. pp. 301 - 310.

فالمجتمع هو فى نهاية الأمر مصدر الشعور الدينى ، كما ان الشـعور الجمعى يحتاج الى شىء ملموس لكى يتجسد فيه ليؤدى الى التآلف والتقارب بين الأفراد لقضاء حاجاتهم(٤١)

فاساس قيام الأديان اذن عنصران :

ـ عنصر نظرى : وهو عبارة عن افكار ومعتقدات دينية ٠

ـ عنصر عملى : وهو الطقوس المتباينة التى يأتون بها ، ويطبقونها فى المناسبات الدينية ، وكل من هذين العنصرين له خصائص اجتماعيـة اصيلة اهمهـا :

١ ـ انه خارجى ، وقائم فى المجتمع قبل ظهـور الأفراد ، فهم يخرجون الى الحياة ، ويجدونه سابقا لظهورهم ، ويأخذون به ٠

٢ ـ انه تلقائى ، ومن صنع المجتمع نفسه ، وليس من صنع الأفراد ، ويتولد وجوده من ضرورة معيشة الناس مع بعضهم ، فمصدره اذن الطبيعة الاجتماعية ، وليس الطبيعة النفسية أو الحيوية أو الجغرافية ، فالدين بعنصريه : النظرى والعملى ، لا يمكن أن يعزى الى روعة مظاهر الطبيعة كالشمس والقمر والنجوم والرعد ، التى بهرت الانسان واضطرته الى عبادتها وتقديسها(٤٢) ٠

هـذا هو ما وصل اليه دوركايم فى تفسيره لنشأة الدين ، فقد كان تفسيره تفسيرا اجتماعيا ، فالدين عنده هو شىء قائم فى المجتمعات البشرية ، سواء اكانت مجتمعات بدائية ، أو مجتمعات متحضرة ٠

* * *

● نقـد رأى دوركايم فى نشأة الدين :

تعرض رأى « دوركايم » فى نشأة الدين الى نقد شـديد ولاذع ، واخذ عليه : انه ذهب الى ان المجتمع يعبد نفسه ، وبأن الطقوس البدائية

---

(٤١) Ibid., pp. 315 - 318.

(٤٢) عبد العزيز عزت ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ ٠

وضعت لتحقيق تلك الفكرة ، كما انه ذهب الى فكرة الحلم ، أو الطبيعة ، فالجماعة نفسها واقعة طبيعية ، وهى جزء من الطبيعة ، فيها كل مظاهرها ، وكل متغيراتها ، وتخضع للتجربة ، كما تخضع كل ظاهرة طبيعية ، وليس الدين ميكانيكية أو آلية يسيطر عليها ما أسماه « دوركايم » العقل الجمعى ، مع انكار الناحية النفسية للفرد ، كما أنه اعتبر التوتمية فلسفة للكون ، وجعل من المانا فكرة فلسفية لا يستطيع البدائى أن يفهمها ، بل انه يعتبر التوتمية نفسها مذهبا فى الوجود .

كما أنه أهمل اهمالا كبيرا العامل الفسيولوجى للانسان فى تكوين الدين ، ولهذا العامل آثاره التى لا يمكن انكارها . ويرى عمومية فكرة المانا ، وانها مبدأ عام منبث فى الأشياء .

وطبيعى انه ليس مقبولا ، ولا معقولا : أن يكون الدين ـ أو هذا النظام الدينى النبيل ـ ناشئا عن هذه القوة الميكانيكية الآلية ، المسماة بروح الجماعة ، أو العقل الجمعى ، وغير مقبول كذلك : أن تلجأ الجماعة فى التعبير عن ذاتها الى هذه الطرق الملتوية والمعقدة من حفلات ، بما فيها من طقوس وعبادات نحو الرمز(٤٣) .

ولا يمكن أن يكون الدين تعبيرا عن هذا اطلاقا ، لأن الدين رد فعل لكل ذلك ، انه محاولة للعدالة ، وايقاف البشر عند حدود معينة من الاغراق فى غرائز حيوانية لا تحد . ولذلك كان من الخطأ البين ان يجعل « دوركايم » الدين من عمل الجماعة ووقفا عليها ، ومن العجيب أنه يعمم فكرته على الأديان جميعا ، حيث يرى أن الأديان الحديثة صورا من الأساس الجماعى الذى بنى عليه فكرته عن التوتمية(٤٤) .

اذ انه اعتبر التوتمية اقدم دين فى البشرية ، ويمضى الى حد الاعتقاد بأن التوتمية منشأ الأديان جميعها ، بينما المشكلة الأصلية هى : دينية التوتمية ذاتها . فالتوتمية نظام اجتماعى عرفته الانسانية فى فترة من

(٤٣) على النشار ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ ـ ١٦٨ .
(٤٤) المرجع السابق ، ص ١٦٨ ـ ١٧٢ .

فتراتها الأولى ، كما يؤخذ عليه انه لم يقم للمنهج المقارن اى اعتبار ، مكانَ عليه ان يقوم بدراسة مقارنة مفصلة للتوتمية فى جميع صورها ، لا ان يتوقف عند صورة واحدة للتوتمية الاسترالية ، كما يؤخذ عليه أيضا انه اعتبر قبائل استراليا الوسطى أقدم الأجناس البشرية ، ولكن بعد الدراسات المستفيضة والمتأنية ، تبين انها هى الطور السادس الذى انتهت اليه العقلية الوطنية لأهل أستراليا ، بل هى أكثرها تقدما وأحدثها(٤٥) .

كما أن « دوركايم » لم يميز بين ما هو دينى ، وما هو اجتماعى ، ولم يضع خطا فاصلا بين العنصر الفردى فى الدين والعنصر الجماعى ، حيث اننا نجد ان الشعور الدينى هو بالضرورة شعور ذاتى جوهرى ، قبل أن يكون شعورا جماعيا .

واذا كان الدين عند « دوركايم » ظاهرة اجتماعية نظرا لجبريتها وعموميتها ، ولأنه ليست هناك ديانة فردية مبتكرة بمعنى الكلمة ، فاننا نؤكد أن « دوركايم » خلط خلطا تاما بين ما هو دينى وما هو اجتماعى(٤٦) .

ولهذا يعتبر تفسير « دوركايم » لنشأة الدين ، ليس له اى أساس من الموضوعية العلمية ، لأن الناس اذا فهموا الديانة على هذا النحو الذى صوره ، فان معظم الديانات لن تستمر طويلا ، لأنها لا تقوم أبدا على احلال الله محل المجتمع(٤٧) .

ولا يمكن أن نقرر أن الدين ظاهرة اجتماعية ، نستخلصها من دراسة مجموع الطقوس والشعائر الدينية ، لأن الدين يتصل بمتابعة فى القلب والضمير ، ويتمثل فى الحضرة مع الله سبحانه وتعالى ، عن طريق النية الخالصة فى التعبد والمناجاة ، بعيدا عن كل الطقوس والشعائر(٤٨) .

***

(٤٥) المرجع السابق ، ص ١٧٣ ـ ١٧٧ .
(٤٦) قبارى محمد اسماعيل : اميل دوركايم ـ مرجع سابق ، ص ٣٦٥ .
(٤٧) حسن شحاتة سعفان ، مرجع سابق ، ص ١٦٥ ، ١٦٦ .
(٤٨) قبارى محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣ .

خامسا ـ الاتجاه التكاملى الوظيفى :

لم يعن أصحاب هـذا الاتجاه بالدراسة التاريخية الخالصة ، ولكنهم وجهوا عنايتهم الى دراسة العلاقات الوظيفية بين النظم الدينية والنظم الاجتماعية ، كما اهتموا بدراسة الترابط الوظيفى التكاملى بين عناصر النظام الدينى فى نطاق الهيكل الاجتماعى ، وتحليل العلاقات بين الهيئات النظامية الدينية ، والهيئات النظامية التى تمارس أوجه النشاط السياسى والاقتصادى والتربوى والتشريعى والقضائى والفنى(٤٩) .

ورأوا : أنه ليس من الضرورى الاغراق فى الفروض النظرية فى تفسير نشأة الدين ، أو محاولة تتبع الفكرة الدينية خلال العصور ، فهذا طريق شـاق ، وان كان يرضى بعض المطالب الفلسفية ، والتأملات الميتافيزيقيـة .

وقد أخذ بهذا الاتجاه كثيرون من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع ، نذكـر منهم « رادكليف براون Radcliff Broun » و « مالينوفسكى Malinowski » و « تالكوت بارسونز Telcott Barsons » وغيرهم ، وهم يفسرون نشـأة العقيدة الدينيـة فى ضـوء الوظائف التى تؤديهـا للأفراد والمجتمعـات(٥٠) .

ولا تغفل الدراسة التكاملية وجهة النظر التطورية ، وانما تتناول ، وفقـا للمنهج التكوينى التتبعى ، انبثاق النظم والهيئـات الاجتماعيـة المتخصصة من العقيدة ، والهيئة الدينية التى كانت مستغرقة ومسيطرة على البنية الاجتماعية البدائية .

وبجانب هـذا التيار التطورى التتبعى التكاملى ، نجـد اتجاها تكامليا يقوم على أساس نظرية الانتشار والسريان والتسرب والاستعارة .

ويمثل هـذا مذهب « روجيه باستيد » ويتلخص هـذا المذهب فى

---

(٤٩) أحمـد الخشـاب : الاجتمـاع الدينى ـ مرجع سـابق ، ص ١٤٥ .

(٥٠) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٤٨ .

ان الديانات يستعير بعضها من البعض الآخر بحكم تبادل التأثير بينها ، او بين عناصر احداها وعناصر الأخرى ، فنحن مهما افترضنا ان جماعة من الجماعات تظل منطوية على نفسها ، منعزلة عن غيرها ، فانه لا بد من تقرير : أن هـذه الجماعة لا بد وأن تجاوز غيرها من الوجهة الاقليمية المكانية ، ومعنى ذلك : أنه لا توجد دائمـا بين الجماعات الانسانية حوائل تحـول دون تسرب الآراء واختلاطها وهجرتها ، سـواء بالمجاورة أو الاحتكاك عن طريق الاغارة أو التجارة أو الثقافة .

وقد تقترض الديانات بعضها من البعض الآخر ، وحتى الديانة الغالبة تتسرب اليها بعض عناصر أو رواسب من الديانة المغلوبة على أمرها ، وكثيرا ما نلمس رواسب للوثنية سائدة بين معتنقى الديانات السماوية ، هـذا فضلا عن هـجرة الديانات ، بفضل موجات الهجرات الجماعية التى تحمل معها امورها المقدسة وتصوراتها الصوفية ، وقد يؤدى الصراع أو الامتزاج بين الديانات الى الاستعاضة بمعبود عن معبود آخر ، مع بقاء وظيفته الدينيـة على حالها ، مثل تقديس الأولياء محل تقديس الأبطال والأرواح ، وقد يؤدى هـذا الصراع الى اختباء مذهب دينى وتستره فى رداء سحرى ، كما حدث للعقائد والطقوس الوثنية بعـد انتصار الديانة المسـيحية والديانة الاسـلامية ، وقد تنتقل الديانة نتيجة هـذا الصراع من بيئة اجتماعية محدودة الى بيئة اجتماعية شاسعة .

ولا يغفل الاتجاه التكاملى فى الدراسات الدينية ـ الجوانب النفسية والروحية ـ فهو وان كان ينظر الى الدين باعتباره ظاهرة اجتماعية من حيث الوظيفة ، الا انه لا يجارى المدرسـة الفرنسية فى زعمها بأن الجماعة الانسـانية هى مصـدر الدين وينبوعه ، وحتى كمـا يقول « دى لاكروا De Lacroix » اننا اذا افترضنا جدلا : أن الجماعة هى الخالقة للدين ، فان الذى يوصى به ليست تلك الجماعة الانسـانية الواقعة بأنظمتها الدنيوية ، وانما الجماعة المثالية ، فليس الدين وليد النزعة الميكانيكية التى تسيطر عليها الارادة الجماعية دون ان يحسب حسابا للناحية النفسـية ، وللمثل

والقيم الخلقية وللمبادىء الكلية ، وكثيرا ما يكون للانعزالية التأملية قسطا كبيرا من العقيدة الدينية(٥١) •

وقد حاول انصار هـذا الاتجاه ، استخلاص اهم المقومات الأساسية للنظام الدينى وهى فى نظرهم :

١ ــ الاعتقاد بوجود نطاق مقدس يمتاز عن النطاق العلمانى فى أنه موضع تقديس الأفراد ، وموضوع اجبارهم ، ويرتكز على وجود مجموعة من الأفكار والقيم والتصورات التى تسـمى عقائد ، وهى التى تحـدد أصول الدين الفلسفية واللاهوتية والأسطورية •

٢ ــ الاعتقـاد بوجود علاقات متبادلة ، واتصـالات بين النطاقين القدسى ، والعلمانى ، وينعكس هـذا الاعتقاد فيما ترويه الأسـاطير عن الآلهـة ، وتوزيع اختصـاصاتها وفقا للوظائف الاجتماعية ، وفيما نقرؤه عن تصورات الشعوب لآلهتها ، وفيما نلمسه فى ديناميت الطقوس والشعائر •

٣ ــ الاعتقاد بوجود نظام كونى تتخذه الآلهـة مسرحا لنشاطها ، وقد تشعبت عن هـذه العقيدة فكرة الخضوع لنظام أو قانون الهى عام •

٤ ــ القيام بطائفة من العبادات والأعمال التى تقرب الانسان الى العالم القدسى ، وتقوى فيه الحامة الدينية ، فمن ذلك طقوس القداس ، وطقوس الدخول فى الجمعية الدينية ، والخلاص ، والتطهير ، والصوم ، والصلاة ، والحج ، وما الى ذلك •

٥ ــ الاعتقاد بوجود محرمات التابو ، وتسـتمد ظاهرة التحريم سلطتها من قداسة المصـدر الدينى ، وقد ارتبطت هـذه المحرمات بقيم المجتمع ، فلا يجرؤ الفرد على العبث بنطاق التحريم ، لأن انتهاكه يؤدى بالفرد وربما بالمجتمع الى نتائج لا تحمد عقباها ، ويرى انصار هـذا الاتجاه : أن النظم الدينية مرتبطة بما عداها من النظم ارتباطا وثيقا ، وأنها تساير المجتمع فى تطوره ، فهى ليست جامدة ، بل تعكس مظاهر

---

(٥١) احمـد الخشـاب : الاجتمـاع الدينى ــ مرجع سـابق ، ص ١٤٦ ــ ١٥١ •

البيئة ، وتسد حاجة أساسية من حاجات المجتمع ، بدعوة الأفراد الى الاتجاه نحو عقائد روحية واحدة ، والالتفاف حول محراب واحد ، والاتحاد فى الدعوات والتأملات والصلوات ، والاشتراك فى طقوس العبادات مما يدعم وحدة المجتمع ، ويصون بنائه •

وتعليقا على ما سبق يمكن القول بأن جميع الاتجاهات السابقة لا تعطى تفسيرا متكاملا لنشأة الدين وعلاقته بالسحر ، فمسألة العقيدة اكبر من ان يحصرها تفسير واحد ، فهى تتسع لجميع هذه التفسيرات معا ، ولا تزال الأبواب مفتوحة لما يجد من البحوث والدراسات •

ولا بد أن تمتزج هذه الصلة بالوعى والشعور ، ومن العجيب ــ كما يقول الأستاذ العقاد ــ أن يعرف العلماء شيئا يسمى الغريزة النوعية ، بل شيئا يسمى غريزة الجماعة ، ولا يعرفون شيئا يسمى الغريزة الكونية او السليقة الكونية ، أو ما شاءوا من الأسماء •

ففى الكون مجالا « للوعى الكونى » أوسع من مجال الحواس والملكات ، وما دامت الصلة بين الانسان والكون قائمة ، فلا بد من دخولها فى نطاق وعيه على مثال من الأمثلة ولا موجب لوقوفها دون غاية من الغايات التى تطيقها ملكات الجنس البشرى ، ومنها ملكة الاعتقاد ، والايمان ، وفى الكون العظيم حقائق لم تقابلها الحواس الجسدية ، ولا الحواس النفسية ، كل المقابلة الى الآن(٥٢) •

* * *

ويمكننا القول ــ بعد أن قمنا بعرض لبعض الاتجاهات المختلفة لتفسير نشأته (الدين) وعلاقته بالسحر ، ــ أن هذه الاتجاهات لا تتعدى كونها افتراضات تبدو للوهلة الأولى : أنها غير صحيحة ، ولا تستند على أساس علمى ، وهى فى حد ذاتها اتجاهات فلسفية ، تعتمد كل الاعتماد على الخيالات الذاتية •

---

(٥٢) عبد الباسط محمد حسن : المدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ •

ويمكننا ايضا ان نقسم هذه الاتجاهات الى قسمين :

الأول : قسم الاتجاهات التطورية التى تتجاهل بدورها ما يسود فى الأديان السماوية « اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام » فهى لا تعترف بالرسل ، ولا بالوحى ، بل تذهب الى أن الدين هو اختراع انسانى محض ، كما رأينا فى الاتجاه الطبيعى ، والروحى ، والاجتماعى ٠

فالمنهج الذى سلكوه ، كان عبارة عن دراسة أديان المجتمعات البدائية والقديمة ، كما انهم استخدموا الطريقة القياسية للوصول الى اقدم مظاهر التفكير الدينى واعتبروا اتجاهاتهم صورة مطابقة لديانة الانسان البدائى ٠

فمن المعروف ان الأفراد فى المجتمع البدائى يندرجون فى ظل نظام دينى واخلاقى وتشريعى ، يستند على مجموعة من الأوامر والنواهى القائمة على مصدر غيبى يمثل رهبة فى نفوس الأفراد ، وقوة الزامية فى تحديد سلوكهم ٠

وقد أطلق العلماء اسم « التابو » على مجموعة المحارم التى وضعت لضبط سلوك افراد هذه المجتمعات ، فكان لكل مجتمع من هذه المجتمعات ان يفترض لنفسه قوى قدسية ، خارقة ، تثير رهبة فى نفسه فيلتزم بما تأمر به ، أو تنهى عنه ، وقد كان لهذه القوى دورا هاما فى تحديد القواعد الخلقية التى يتحقق عن طريقها الخير والفضيلة ٠

غير اننا نعتقد ان هذه التصورات الدينية خاطئة فى مجملها ، لأنها غير قائمة على أساس علمى او موضوعى ٠

الثانى : هو الذى يعترف بالدين ، من حيث هو نظام مقدس ، ليس من صنع الانسان ، نزل على أنبياء مرسلين ، واشخاص مختارين ، ليبشروا به الانسانية جمعاء ، وينتمى اغلب رجال الدين فى اليهودية والمسيحية والاسلام ـ وبعض الديانات الوضعية ـ لهذا القسم ٠

***

الفصل الرابع

الأديـــان الســـماوية والســـحر

يعتبر الحديث عن السحر ، وعلاقة الأديان السماوية به ـ اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام ـ عملا محفوفا بالمخاطر(١) وذلك نظرا للادعاءات الكثيرة التى حاول بها بعض المشتغلين به تبرير مواقفهم ، ومحاولتهم الدعوية الاشارة الى ان السحر قد ورد ذكره فى هــذه الأديان ، وعليه فلا مبرر لانكاره ، ولا مانع من ممارسته !!

وكان الاسلام ـ فى رأينا ـ هو الدين السماوى الوحيد ، الذى نهى عن السحر بشـكل قاطع ، وبغير تأويل ، بعد أن ذكره للناس ، وعرفهم به على مر العصور ، ثم نهى عنه ، لكى تكون حياة المسلم نظيفة مطهرة من كل أنواع الشرك بالله ، والرجم بالغيب .

* * *

أولا ـ اليهودية والسحر :

يرى كثير من المفكرين : ان اليهود كانوا أكثر الناس الذين أتقنوا فن السحر ، وهم فى تراثهم القديم ، أرجعوا ملك سليمان الى السحر ، حيث سـخر من خلاله : الجن والانس والريح لخدمته وتنفيـذ أوامره ورغباته(٢) .

وقد وردت العديد من الآيات فى القرآن الكريم ، التى تدلل على عظمة هــذا الملك ، وأن كل شىء من عند الله سبحانه وتعالى : « فسخرنا

---

(١) سنلتزم هنا فى تفسير العلاقة بين الأديان السماوية والسحر ، بما ورد ذكره فى القرآن الكريم وبعض التفاسير .

(٢) أحمد الشنتناوى : فنون السحر ـ القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ ، ص ٤٣ .

له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب • والشياطين كل بناء وغواص »(٣) •

وقوله تعالى : « **وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون »(٤) •**

وهذا يوضح أن ملك سليمان وفخامته كانا من عند الله سبحانه وتعالى ، وليس بفعل السحر كما ادعى ، ويدعى بعض اليهود •

قال سعيد بن جبير : كان سليمان يتتبع ما فى أيدى الشياطين من السحر ، فيأخذه منهم ، ويدفنه تحت كرسيه ، فى بيت خزانته ، ولم تستطع الشياطين أن تصل اليه ، فدنوا من الانس وقالوا لهم : أتدرون ما العلم الذى كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك ؟ قالوا : لا ، قالوا : فانه فى بيت خزانته وتحت كرسيه ، فاستخرجوه وعملوا به ، وأنزل الله تعالى على نبيه محمد ﷺ براءة سليمان عليه السلام •• قال تعالى : « **واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا »(٥) •**

وروى : أنه لما توفى سليمان عليه السلام قام ابليس (لعنه الله) خطيبا فقال : أيها الناس ، ان سليمان لم يكن نبيا ، انما كان ساحرا ، فالتمسوا سحره فى متاعه وبيوته ، ثم دلهم على المكان الذى دفن فيه ، فقالوا : والله لقد كان ساحرا ، وهذا سحره ، به استعبدنا ، وبه قهرنا ، وقال المؤمنون : بل كان نبيا مؤمنا ، فلما بعث الله النبى محمد ﷺ وذكر داوود وسليمان ، قالت اليهود : انظروا الى محمد يخلط الحق بالباطل ، ويذكر سليمان مع الأنبياء !! انما كان ساحرا يركب الريح ، فأنزل الله تعالى •• الآية(١٠٢) من سورة البقرة •

وهذه الآية تعنى أيضا : أن اليهود اتبعوا ما تتلوه الشياطين ، أى ما ترويه وتخبر به ، وتتحدث عنه على ملك سليمان(٦) •

---

(٣) سورة ص : ٣٦ ، ٣٧ • (٤) النمل : ١٧ •
(٥) البقرة : ١٠٢ •
(٦) مختصر تفسير ابن كثير ص ٩٥ ، ٩٦ •

ومن العجيب ان يشتغل اليهود بالسحر ، ويقبلوا عليه ، ويدعون الناس اليه ، ويتبعوا ما كان يتلوه عليهم المتمردون من شياطين الانس والجن من كتب السحر على عهد سليمان ، حيث كانت الشياطين فى عهد سليمان تلقن كهان اليهود قواعد السحر ، وتدعى كذبا : ان ملك سليمان وسلطانه على الانس والجن والطيور والريح لم يقم الا على تلك القواعد التى دونت فى كتب لديهم ، توارثها الخلف عن السلف ، حتى وصلت الى اليهود فى المدينة ٠

وعلى طريق الرفض والعناد ، نبذوا كتاب الله ، وفضلوا عليه الاستمرار فى مزاولة السحر الذى يحرمه القرآن ، حيث ان السحر يؤدى الى الكفر ، وكان اتهام اليهود والشياطين لسليمان بمزاولة السحر ، ما نفاه الله عنه فى قوله تعالى : **« وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر »**(٧) ٠

وقد برأت هذه الآية سليمان عليه السلام من الكفر ٠٠

وقوله تعالى : **« وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت »**(٨) ٠

والمعنى هنا بالملكين : جبريل وميكائيل عليهما السلام ، لأن سحرة اليهود كانوا يزعمون أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل الى سليمان بن داوود ، فأكذبهم الله بذلك ، واخبر نبيه محمدا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر ، واخبرهم أن السحر من عمل الشياطين ، وانها تعلم الناس ذلك ببابل ، وأن الذين يعلمونهم ذلك : رجلان اسم احدهما هاروت ، واسم الآخر ماروت(٩) ٠

وعن قصة هاروت وماروت اخرج البهيقى فى شعب الايمان من حديث ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اشرفت الملائكة على الدنيا ،

---

(٧) سورة البقرة آية رقم : ١٠٢ وانظر الامام محمد الرازى فخر الدين : قصة السحر والسحرة ، مرجع سابق ، ص ١٦٢ ٠
(٨) البقرة : ١٠٢ ٠
(٩) مختصر تفسير ابن كثير ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ٠

فرأت بنى آدم يعصون ، قالوا : كيف يكون هـذا ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ . قال : فاختاروا منكم ملكين ، فاختاروا هاروت وماروت ، ثم اهبطا الى الأرض ، وكانا من أعظم الملائكة علما وزهدا ودينا ، وركبت فيهما شـهوات بنى آدم ، ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا والشرب ، فنزلا ، فذهبت اليهما امرأة من احسن النساء وهى « الزهرة » فراوداها عن نفسها ، فابت ان تطيعهما الا بعد أن يعبدا الصنم ، والا بعد أن يشربا الخمر ، فامتنعا أولا ، ثم غلبت الشـهوة عليهما ، فاطاعاها فى كل ذلك ، وعند اقدامهما على الشرب وعباده الصنم ، دخل سائل عليهم ، فقالت لهم : اقتلاه ، فامتنعا ، ثم قتلاه ، فلما فرغا من القتل وطلبا المراة ، فلم يجداها . وبعد ذلك ندما وتحسرا وتضرعا الى الله تعالى فخيرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة(١٠) . فاختارا عذاب الدنيا ، وأسند اليهما ايضا انهما كانا يعلمان الناس السحر .

وقد رد الرازى على تلك الرواية : بأنها مردودة غير مقبـولة ، لأنه ليس فى القـرآن الكريم ما يدل على ذلك بل فيـه ما يبطلها من عـدة وجوه :

الأول : أن الملائكة معصومين من كل المعاصى .

الثانى : أن قولهم : انهما خيرا بين عذاب الدنيا ، وبين عذاب الآخرة مردود أيضا ، فكان من الأرجح ان يخيرا بين التوبة والعذاب ، لأن الله تعالى خير بينهما من اشرك به طول عمره ، فكيف يبخل عليهما بذلك ؟

الثالث : ان من اعجب الأمور قولهم : انما يعلمان السحر حال كونهما معذبين ويدعوان اليه ، وهما يعاقبان(١١) .

ومن الجدير بالذكر : أن سبب انزالهما يرجع الى أن السحرة ، كثروا فى ذلك الزمان ، واستنبطوا الوانا غريبة من السحر ، وكانوا يدعون النبوة ، ويتحدون الناس بها ، فبعث الله تعالى هذين الملكين ، لأجل

---

(١٠) محمد بن على بن محمد الشوكانى : فتح القدير ، مرجع سابق ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، انظر أيضا مختصر ابن كثير ص ٩٦ .

(١١) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

ان يعلما الناس ابواب السحر ، حتى يتمكنوا من معارضة اولئك الذين يدعون النبوة كذبا ، ولا شك أن هذا من أحسن الأغراض والمقاصد ٠

ان تحصيل العلم بكل شيء حسن ، ولما كان السحر غير مرغوب فيه ، ومنهى عنه ، وجب ان يكون معلوما ، لأن الذى لا يكون معلوما ، امتنع النهى عنه ، ولعل الجن كانت عندهم أنواع من السحر لم يقدر البشر على الاتيان بمثلها ، فبعث الله الملائكة ليعلموا البشر أمورا يقدرون بها على معارضة الجن ، وبهذا يمكن القول : انه بذكر هـذه الأمور ، أن الملكين قد انزلا من عند الله تعالى ، لتعليم السحر ، والله أعلم(١٢) ٠

ويجب الاشارة هنا الى ان هـذه الواقعة كانت فى زمن سـيدنا ادريس عليه السلام ، وكانا لا يعلمان السحر ، الا بعد التحذير الشديد من العمل به ، والاشارة الى ان علمهما هـذا يعتبر فتنة ٠٠ كما ورد فى قوله تعالى : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة »(١٣) ٠

* * *

وغنى عن القول : ان اليهود ظلوا لفترة طويلة يمارسون السحر باشكال مختلفة ، حتى ان نسـبة غير قليلة من السحرة الذين أحرقت كتبهم واجسادهم فى أوروبا فى العصور الوسطى ، كانت من اليهود ، وحتى الآن ، فان بعض أحبارهم يعلنون انهم يملكون من أسراره ما لا يملكه أحد ، ولهم طقوس سحرية غاية فى التعقيد والمبالغة ، بل انهم ربما كانوا وراء انتشار بعض الاتجاهات السـحرية التى سادت العـالم مؤخرا ٠ وبخاصة فى مجال التنجيم والتنبؤ بالمستقبل والغيب ٠ والبعض من ذلك تطالعنا به معظم وسائل الاعلام العالمية فى بداية كل عام ميلادى جديد ٠ حتى ان الناس الفوا ذلك وتعودوا عليه ٠

* * *

ثانيا ـ المسيحية والسحر :

لقد امتلأ التراث المسيحى بأنواع متعددة من السحر ، وقد كان

---

(١٢) ابراهيم محمد الجمل : السـحر ـ دراسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ ٠

(١٣) البقرة : ١٠٢ ٠

للحضارات والديانات القديمة ، مثل الحضارة اليونانية والرومانية ، والتى انتصرت عليها المسيحية بعد نضال عنيف ، اثرها فى اثراء الجانب السحرى فى التراث المسيحى ٠

وظلت اعمال السحر والشعوذة ، لسنين طويلة ، تظلل العقل الأوروبى الى ان وصلت الى المحاكمات الشهيرة فى العصور الوسطى ، حيث استطاع المسيحيون المؤمنون التغلب على انتشار السحر والسحرة ٠

* * *

وقد تشدد الكتاب المقدس ضد السحرة ، وهددهم ، ومن يثقون فيهم بالعقاب الشديد ، وأوضح الكتاب المقدس أن اعمال السحرة مرفوضة أمام الله ، وان الله يستاء ممن يتعاملون معهم ٠٠ فيقول فى سفر ملاخى : « ٠٠٠٠ واقترب اليكم للحكم ، واكون شاهدا سريعا على السحرة وعلى الفاسقين وعلى الحالفين زورا ٠٠٠٠ » (ملاخى ٣ ـ ٥)(١٤) ٠

كما بين الكتاب المقدس : ان مثل هذه الأعمال ، نوع من النجاسة ، وعادة ما يعيش القائمون بهذه الأعمال مرفوضين من الله ، حتى يتوبوا ، ويرجعوا عنها ، وقد كانت نهاية حياة الكثيرين منهم ، نهاية مؤسفة ، تتفق مع طبيعة البعد عن الله ، والتعاون مع الشياطين ، فبعضهم مات مقتولا بيد بعض الناس الذين اضيروا من اعمالهم ، والبعض الآخر ، صرعته الشياطين ، او افقدته النطق ، لأنه رفض لها طلبا ٠

ويتضح من هذا : أن المسيحية رفضت السحر ، واعتبرته من الأعمال التى لا تتناسب مع شريعتها ، التى كان من اهم دعائمها التى قامت عليها الدعوة الى المحبة(١٥) ٠

---

(١٤) سامية الساعاتى : السحر والمجتمع ـ مرجع سابق ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ٠ عن نبيل صبحى حنا : السحر ـ دراسة مسيحية للسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس ٠

(١٥) مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ـ القاهرة ، لجنة البيان العربى ـ ١٩٥٣ ، ص ٢٢٤ ٠

والقرآن الكريم يذكر : أن الشريعة التى جاء بها عيسى عليه السلام ، شريعة سماوية سمحة ، تحقق صلاح الناس فى الدنيا والآخرة(١٦) .

* * *

ثالثا ـ الاسلام والسحر :

لقد قاوم الاسلام السحر والسحرة ، ووردت فى القرآن الكريم آيات فيمن يتعلمون السحر : « **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** »(١٧) .

وقد عد النبى ﷺ السحر من كبائر الذنوب ، والموبقات التى تهلك الأمم قبل الأفراد ، وترضى أصحابها فى الدنيا قبل الآخرة ، قال رسول الله ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا : يارسول الله .. وما هى ، قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »(١٨) .

وقد اعتبر بعض فقهاء الاسلام السحر كفرا ، أو مؤديا الى الكفر ، وذهب بعضهم الى وجوب قتل الساحر ، تطهيرا للمجتمع من شره ، كما دعا القرآن الكريم الى الاستعادة من شر السحرة : « **ومن شر النفاثات فى العقد** »(١٩) .

والنفث فى العقد من طرائق السحرة وخواصهم ، وفى الحديث : « من نفث فى عقدة ، فقد سحر ، ومن سحر فقد اشرك »(٢٠) .

وحرم الاسلام على المسلم الذهاب الى العرافين لسؤالهم عن الغيب والأسرار ، وحرم عليهم اللجوء الى السحر والسحرة لعلاج مرض ابتلوا به ،

---

(١٦) على عبد الواحد وافى : الأسفار المقدسة فى الأديان ـ القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ـ ١٩٦٤ ، ص ٧٨ .

(١٧) البقرة : ١٠٢ .

(١٨) متفق عليه ـ سنن الترمزى ـ انظر : صحيح البخارى ـ كتاب الطب ص ٧ ـ ١٧٧ .

(١٩) الفلق : ٤ .

(٢٠) رواه الطبرانى .

او حل مشكلة استعصت عليهم ، وهـذا ما تبرأ منه رسول الله ﷺ حيث قال : « ليس منا : من تطير او تطير له ، او تكهن او تكهن له ، أو سحر أو سحر له »(٢١) ٠

ويقول ابن مسعود : « من اتى عرافا أو ساحرا أو كاهنا ، فسأله ، فصدقه بما يقول : فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ »(٢٢) ٠

فالحرمة هنا ، ليست علي الساحر وحده ، وانما تشمل كل مؤمن بسحره ، مشجع له ، أو مصدق لما يقول ، وتشتد الحرمة : اذا كان السحر يستعمل فى أغراض محرمة ، كالتفريق بين المرء وزوجه ، والاضرار البدنى ، وغير ذلك مما يعرف فى بيئة السحرة(٢٣) ٠

* * *

● **معنى السحر :**

قال الأزهرى : اصل السحر : هو صرف الشىء عن حقيقته الى غيره ، فكأن الساحر يرى الباطل فى صورة الحق ، وخيل الشىء على غير حقيقته ، وقد سحر الشىء : وجهه ، أى صرفه ، وقال الفراء فى قوله تعالى : « فانى تسحرون »(*) معناه فانى تصرفون ، وروى شحر عن ابن عائشة : قال العرب : انما سمى السحر سحرا ، لأنه يزيل الصحة الى المرض : قال مسحورا ذاهب العقل مفسدا ٠

والسحر : الخديعة ٠

والساحر : العالم ٠

والسحر : الفساد ٠

وهكذا نرى أن فى هـذا المعنى اللغوى : اشارة الى أن السحر من

---

(٢١) رواه البزار باسناد جيد من حديث عمران بن حصين ، والطبرانى باسناد حسن من حديث ابن عباس ٠

(٢٢) رواه البزار وابو يعلى باسناد جيد ٠

(٢٣) يوسف القرضاوى : الحلال والحرام فى الاسلام ـ الطبعة السادسة عشرة ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٤ ، ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ ٠

(*) المؤمنون : ٨٩

انواع القرب التى توافق ميول الشيطان ، وقد يؤثر فى بعض الحواس ، ويغير المزاج لشدة لطفه ، وهو شر فى ذاته وفى نتائجه ٠

* * *

● السحر فى الشرع :

قال الكافى : السحر عزائم ورقى ، وعقد فى الأبدان والقلوب ، فيمرض ويقتل ، ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ احد الزوجين عن صاحبه(٢٤) ٠

ولفظ السحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ، ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد ، افاد ذم فاعله ، قال تعالى : « سحروا اعين الناس »(٢٥) يعنى موهوا عليهم ، حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى ٠٠ وقال تعالى : « يخيل اليه من سحرهم انها تسعى »(٢٦) ٠

وقد يستعمل مقيدا فيما يمدح ، ويحمد(٢٧) ٠ قال رسول الله ﷺ :

« ان من البيان لسحرا » فالرجل يكون عليه الحق ، وهو الحن بالحجج من صاحب الحق ، فيسحر القوم ببيانه ، فيذهب بالحق وهو عليه ، فالقادر على البيان ، يكون غالبا قادرا على تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن ، ويكون بذلك مشابها للسحر من هذا الوجه(٢٨) ٠

* * *

● حقيقة السحر :

اختلف العلماء حول حقيقة السحر ، فمنهم من قال بأنه تخييل لا حقيقة له ، وهم طائفة من اهل الكلام من المعتزلة ، وغيرهم قالوا : انه لا تأثير للسحر ، وأنه تخييل لأعين الناظرين ، وهذا خلاف ما تواترت به

---

(٢٤) عبد الرحمن ابراهيم الحميضى : خوارق العادات فى القرآن الكريم ـ مرجع سابق ، ص ٥٨ ٠

(٢٥) الأعراف : ١١٦ ٠ (٢٦) طـه : ٦٦ ٠

(٢٧) محمد الرازى فخر الدين : قصة السحر والسحرة فى القرآن الكريم ، مرجع سابق ، ص ٢٥ ، ٢٦ ٠

(٢٨) ابراهيم محمد الجمل : السحر ـ دراسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية ، مرجع سابق ، ص ٩٧ ٠

الآثار عن الصحابة والسلف الصالح ، واتفق عليه الفقهاء ، وأهل التفسير والحديث .

وهناك العديد من النصوص الثابتة من الكتاب الكريم والسنة المطهرة الصحيحة ، تدل على ثبوت السحر ، وأنه موجود ، ولا يعارض وجوده العقل ، وبعد الثبوت فلا حاجة الى الجواز(٢٩) .

* * *

● **سحر اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم :**

عن عائشة رضى الله عنها قالت : « سحر رسول الله ﷺ يهودى من يهود بنى زريق يقال له « لبيد بن الأعصم » حتى كان رسول الله ﷺ يخيل اليه أنه يفعل الشىء وما يفعله » .

وقال القاضى عياض فى هذا الشأن : والسحر مرض من الأمراض ، وعارض من العلل يجوز عليه ﷺ ، كأنواع الأمراض الأخرى .

ويرى الامام محمد عبده فيما روى عن النبى ﷺ من أنه سحر ، وأثر فيه السحر ، حتى أنه يخيل اليه فعل الشىء ولم يفعله ، وأن الله أنباه بذلك ، وأخرجت مواد السحر من البئر ، وعوفى ﷺ(٣٠) .

« ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه الصلاة والسلام ، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية ، بل هو مساس بالعقل آخذ بالروح . وهو مما يصدق فيه قول المشركين : « ان تتبعون الا رجلا مسحورا »(*) . وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله ، وخيل له أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل اليه أنه يوحى اليه ولا يوحى اليه .

وهذا خطأ وقع فيه كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هى النبوة ، ولا ما ينبغى لها .

---

(٢٩) عبد الرحمن الحميضى : خوارق العادات ، مرجع سابق ، ص ٥٩ ، ٦٠ .

(٣٠) ابن قيم الجوزية : الطب النبوى – مرجع سابق ، ص ١٢٢ .

(*) الاسراء : ٤٧

ان الخبر بتأثير السحر قد صح ، فيلزم الاعتقاد به ، وعدم التصديق به من بدع المبتدعين ، لأنه ضرب من انكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر ، والذى يجب الاعتقاد فيه : ان القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه .

وقد جاء بنفى السحر عنه ، عليه الصلاة والسلام ، حيث نسب القول باثبات حصول السحر له ، والى المشركين اعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا »(٣١) .

وتعليقا على ما رآه الامام محمد عبده فى نفى السحر عن الرسول ، وتأثيره فى عقله الشريف ، فان هذا لو حدث لاقتضى ذلك الشك فيما جاء به ﷺ ، ولأنه تعالى وبخ المشركين على اتهامهم له بأنه مسحور . وبأنه من المسحرين . ولا يوبخهم الا على ما هو مبرأ منه ولا يليق به .

وحكى عن الشافعى رضى الله عنه أنه قال : السحر يخبل ويمرض ، وأوجب القصاص على من قتل به ، فهو من عمل الشيطان ، يتلقاه الساحر منه ، بتعليمه اياه ، فاذا تلقاه منه ، استعمله فى غيره ، وقيل انه يؤثر فى قلب الانسان ، وقيل : الأصح : أنه تخييل ، لكنه يؤثر فى الأبدان بالأمراض والموت والجنون .

وللكلام تاثير فى الطباع والنفوس ، كما اذا سمع انسان ما يكره فيثور ويغضب ، وربما حم منه ، ومات قوم بكلام سمعوه ، فهو بمنزلة العلل التى تؤثر فى الأبدان(٣٢) .

ويرى بعض العلماء ان سحر وسحرة فرعون كان ضربا من الحيلة ، ولذا فقد اجاب فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عندما سئل عن الفارق بين سحر قوم فرعون وعصا موسى فأجاب فضيلته :

---

(٣١) الامام محمد الرازى فخر الدين ـ قصة السحر والسحرة ـ مرجع سابق ص ٢٣٠ ، ٢٣١

(٣٢) ابراهيم محمد الجمل : السحر ـ مرجع سابق ، ص ٩٩ ، ١٠٠

« ان سحرة فرعون يسحرون أعين الناس ، فلا ترى حقيقة الأشياء ، وانما يرى الناس الوهم الذى يضفيه السحرة على أعينهم ، أما معجزة موسى : ففيها تغيرت الحقيقة وأصبحت العصا حية ، هكذا نرى معجزة الله مؤانسة لموسى . على حين ظهرت حيات السحرة حبالا وعصيا ، لذلك آمن السحرة هذا الايمان السريع ، لأنهم رأوا شيئا ليس من السحر ولا من التخييل ولا من التهويل ، شيئا هز قلوبهم ، حتى اضطرها الى الايمان ، وبلغ منهم الايمان مبلغا جعلهم يتحدون فرعون ». ولا يبالون به ، لأنهم تصوروا عظمة الله الذى آمنوا به ، فهانت عليهم عظمة فرعون الزائفة ، وربوبيته المكذوبة »(٣٣) .

ولقد وصف القرآن الكريم حالة موسى : « **فأوجس فى نفسه خيفة** »(٣٤) . وهذا هو الفارق بين سحر قوم فرعون ، وبين عصا موسى .

وقد نهى الاسلام عن السحر ، ووصف السحرة بانهم كفرة ، وبانهم اتباع الشياطين ، وهذا معناه انه لا يجوز على اى مسلم أن يعمل به ، لما يترتب عليه من اضرار جسيمة(٣٥) .

فالقرآن الكريم لم يعط للسحرة قدرة اعجازية خارقة ، وانما هو مجرد تعلم مكتسب ، وصناعة يكتسبها الفرد عن طريق التعلم ، واكتساب بعض المهارات الخاصة ، وقد ابطل وضوح صناعة كيدية غير مفلحة : « انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث اتى »(٣٦) .

- ان القرآن الكريم لم يسلم بقدرة السحر وخوارقه وانما عزا الزعم بهذه القدرة الى مجرد التخيل ، وهكذا اعطى لنا القرآن تفسيرا مسببا وموضوعيا لظاهرة السحر .

---

(٣٣) على الطنطاوى : تعريف عام بدين الاسلام - الجزء الأول فى العقيدة - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٧٨ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢

(٣٤) طه : ٦٧ .

(٣٥) محمد الرازى فخر الدين : قصة السحر والسحرة ، مرجع سابق ، ص ٢٤٩ .

(٣٦) طه : ٦٩ .

ـ كذلك نفى القرآن الكريم عن السـحر أى ايجابية اجتماعية ، فهو عمل فاسـد يبطل ، ولا يعتمد عليه ، يقول تعالى : « قال موسى ما جئتم به السـحر ، ان الله سـيبطله ، ان الله لا يصـلح عمـل المفسـدين »(٣٧) .

ـ القرآن الكريم يكذب السـحر ولا يصدقه ، ويسفه السـحرة ويناقضهم ، ويعطى لهذه الظاهرة تحديا سـببيا لجوهرها معريا لهـا عن كل مزاعمها ، وذلك بما يتمشى والرؤية الموضوعية لمواجهة السحر(٣٨) .

وغنى عن البيان : أن الاسـلام دين العقل والفكر ، وما فى هذا من ريب ، وبذلك يشـهد القرآن الكريم الذى يشيد بالعقل فى الكثير من آياته ، والرسـول ﷺ فى كثير من أحاديثه ، كما تدل على ذلك عقائده التى جاء بها وأصوله التى قام عليها ، فان العديد من الآيات الكريمـة تحض على نبذ السحر والسـحرة(٣٩) .

وموقف محمد ﷺ رسـول الاسـلام من السـحر ، وتفنيده له ، بل حتى لمـا حوله من ظاهرات شـبيهة كالعرافة مثـلا ، كما جاء فى الحديث الشـهير : « من اتى عرافا يصـدقه ، فقـد كذب بما أنزل على محمد » .

ولهذا نجـد ان القرآن الكريم يلتقى مع معطيات الاتجاهات العلمية المفسرة للسـحر ، على أنه ظاهرة كبقيـة الظواهر ، تدرس وتشرح وتحدد أسـبابها(٤٠) .

وفى السـنة الشريفة أحاديث كثيرة تذم السـحر : منها ما أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسـط بسـند : « ثلاث من لم تكن فيه واحـدة منهن فان الله يغفر له ما سـوى ذلك لمن يشـاء : من مات لا يشرك بالله شـيئا ، ولم يكن سـاحر يتبعه السـحرة ، ولم يحقد على أخيه »(٤١) .

---

(٣٧) يونس : ٨١ .

(٣٨) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٣٩) محمد يوسف موسى : الاسلام وحاجة الانسان اليه ـ الكويت ـ مكتبة الفلاح ـ ١٩٧٨ ، ص ٣٩ .

(٤٠) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سـابق ، ص ٢٣٩ .

(٤١) ابراهيم محمـد الجمـل : السـحر ، مرجع سـابق ، ص ١١١ ، ١١٢ .

ومن هــذا العرض المختصر ، يتبين لنــا : أن الســحر لا يمكن انكاره ، لأنه ثابت فى نصوص القرآن الكريم والسـنة النبوية الشريفة ، ولكنه منهى عنــه ٠

* * *

● حـد الســاحر :

وحد الســاحر القتــل لأنه كفر بالله ، أو مضارع الكفر ، قال النبى ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات ٠٠٠ » وذكر منها السحر ، وجاء عن النبى ﷺ : « حد الســاحر ضربه بالسـيف »(٤٢) ٠

وعن ابن مســعود رضى الله عنه قال : « الرقى والتمائم والتولة شرك » ٠ وعن بجالة بن عبدة أنه قال : « أتانا كتاب عمر رضى الله عنه قبل موته بسـنة ، أن اقتلوا كل ســاحر وساحرة »(٤٣) ٠

وقد روى من طرق متعددة ، أن الوليد بن عقبة كان عنــده ســاحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به ، فيرد اليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ! يحيى الموتى !! ، ورآه رجل من صــالحى المهاجرين ، فلما كان الغــد ، جاء مشتملا على ســيفه ، وذهب يلعب لعبــة ذلك الرجل ، فسحب سـيفه ، وضرب عنق الســاحر ، وقال : ان كان صادقا فليحيى نفســه ، وتلا قوله تعــالى : **« افتأتون الســحر وأنتم تبصرون »**(٤٤) ٠

* * *

---

(٤٢) سنن الترمذى : وهو الجامع الصحيح للامام الحافظ ابى عيسى محمد بن عيسى ، صوره الترمذى ، أشرف على طبعه وراجع أصوله : عبد الرحمن محمد عثمان ــ بيروت ــ دار الفكر ــ الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ ، ص ١٠ ، ١١ ٠

(٤٣) أبى عبد الله محمد شمس الدين الذهبى الدمشقى : الكبائر ــ نقحه وراجعه محمد الأنور احمد البلتاجى ــ القاهرة ، دار التراث العربى ، ١٩٨٢ ، ص ١١ ٠

(٤٤) الأنبياء : ٣

إن تنظيف المجتمع الاسلامى من السحر والسحرة يعود بالدرجة الأولى الى اهتمام الاسلام بالصحة النفسية والاجتماعية للمسلمين ، وانه بغير ذلك تنتشر أعمال السحر والشعوذة ، ويبتعد المسلمون عن دينهم ، ويلجأون فى أوقات شدتهم ، لا الى الله سبحانه وتعالى ، بل انى من يدعون انهم قادرون على مساعدتهم ، فيتوهون فى الحياة والعالم ، مستضعفين ، غير قادرين على حل ما يواجهم من مشكلات الحياة .

* * *

● علاج السحر فى الاسلام :

علاجه بعمل السحرة : وهو عن طريق التقرب الى الجان ، بالذبائح أو غيرها من القرابين ، وهذا لا يجوز لأنه من عمل الشيطان بل من الشرك الأكبر ، ويجب الحذر منه .

كما لا يجوز علاجه بسؤال الكهنة والعرافين والمشعوذين ، لأنهم لايؤمنون ، ومدعين ، فهم يدعون الغيب ، وقد حذر الرسول ﷺ اتيانهم وسؤالهم ، وتصديقهم(٤٥) .

* * *

● علاج السحر بالقرآن والسنة :

وأعظم سبيل للحماية من السحر : هو الالتزام بالكتاب والسنة علما ، وعملا ، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم ، والشيطان يجاهد كى يخرج المسلمين عنه ، قال تعالى : **« وأن هـذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »**(٤٦) .

فاتباع ما جاء من عند الله من عقائد وأعمال وأقوال وعبادات وتشريعات ، وترك كل ما نهى عنه ، يجعل العبد فى حرز من الشيطان ،

---

(٤٥) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .
انظر أيضا مجلة المسلمون العدد التاسع ـ ١٦ رجب ١٤٠٥ هـ .
(٤٦) الأنعام : ١٥٣ .

ولذلك قال سبحانه وتعالى : « **يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين »(٤٧)** .

وفى هذه الآية : أمر الله سبحانه وتعالى بالعمل بجميع شعب الايمان وشرائع الاسلام ، ما استطاعوا ، ونهاهم عن اتباع خطوات الشيطان ، فالذى يدخل فى الاسلام مبتعد عن الشيطان وخطواته ، والذى يترك شيئا من الاسلام ، فقد أتبع بعض خطوات الشيطان(٤٨) .

وقد استطاع الاسلام بمنهجه : أن يرقى بالانسان عن مراتب الحيوانية ، أو الانسانية المجردة ، الى مراتب الملائكة التى يصفو عندها قلب المسلم ، فلا يقع فى الموبقات ، فربط الاسلام المسلم برباط وثيق ، يدفعه من حين لآخر ، وجعل له فى حياته من يعظه ، ويزجره دائما ، كلما اقترب من فاحشة أو اقبل على معصية .

وقد عالج الاسلام السحر معالجة موضوعية ، وذم اتيان العرافين والكهان ، وذم السحر والسحرة ، وعده من أكبر الكبائر .

وشرع الله لعباده ما يتقون به شر السحر قبل وقوعه ، وأوضح لهم سبحانه ما يعالجونه به ، بعد وقوعه ، رحمة منه لهم ، واحسانا منه اليهم ، واتماما لنعمته عليهم ، وفيما يلى بيان ذلك :

وهو الذى يتقى به خطر السحر قبل وقوعه ، فأهم ذلك وأنفعه ، هو التحصن بالأذكار الشرعية ، والدعوات والتعوذات المأثورة ، ومن ذلك : قراءة آية الكرسى خلف كل صلاة مكتوبة بعد الأذكار المشروعة بعد السلام ، ومن ذلك قراءتها عند النوم .

ومن ذلك ، قراءة : « **قل هو الله احد** » و « **قل اعوذ برب الفلق** » و « **قل أعوذ برب الناس** » .

---

(٤٧) البقرة : ٢٠٨ .

(٤٨) عمر سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين ، مرجع سابق ، ص ١١٦ .

ومن ذلك ايضـا : قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة (٢٨٥ ، ٢٨٦)(٤٩) .

وفى السنن عن عبد الله بن حبيب قال : قال رسـول الله ﷺ : « قل . قلت : يارسول الله ، ما اقول ؟ : قال : « **قل هو الله احد** » ، والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات ، تكفيك من كل شىء » .

واخرج احمـد والحاكم والترمذى فى الدعوات عن ابى بن كعب قال : كنت عند النبى ﷺ ، فجاء اعرابى فقال : « يا نبى الله ، ان لى اخا به وجـع ، قال : وما وجعه ؟ قال : به لم(٥٠) ، قال فأتى به فوضعه بين يديه ، فعوذه النبى ﷺ بفاتحة الكتاب ، واربع آيات من اول سـورة البقرة ، وهاتين الآيتين : « **والهكم اله واحـد** »(٥١) وآية الكرسى ، وثلاث آيات من آخر سورة البقرة ، وآية من آل عمران : « **شهد الله انه لا اله الا هو** »(٥٢) ، وآية من الأعراف : « **ان ربكم الله** »(٥٣) وآخر سورة المؤمنون : « **فتعالى الله الملك الحق** »(٥٤) . وآية من سورة الجن : « **وانه تعالى جد ربنا** »(٥٥) ، وعشر آيات من أول الصافات ، وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، و « **قل هو الله احد** » والمعوذتين ، فقام الرجل كانه لم يشك قط(٥٦) .

وتعتبر الأذكار والتعوذات من أعظم الأسـباب فى اتقاء شر السحر ، وغيره من الشرور ، لمن حافظ عليها بصـدق وايمان ، وثقة بالله ، واعتماد عليه ، وانشراح صـدر ، لمـا دلت عليـه ، وهى أيضـا من أعظم الأسلحة

---

(٤٩) محمد الرازى فخر الدين : مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .
(٥٠) اى طرف من الجنون .
(٥١) البقرة : ١٦٣ .
(٥٢) آل عمران : ١٨ .
(٥٣) الأعراف : ٥٤ .
(٥٤) طـه : ١١٤ .
(٥٥) الجن : ٣ .
(٥٦) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ــ الجزء الرابع ــ بيروت ــ دار الفكر ، ١٩٧٤ ، ص ٢٠٤ .

لازالة السحر بعد وقوعه ، مع الاكثار من الضراعة الى الله ، وسؤاله سبحانه ان يكشف الضرر ، ويزيل البأس(٥٧) .

***

واخرج احمد وابو يعلى عن ابى التياح قال : قلت لعبد الرحمن ابن خنيش التميمى رضى الله عنه ، وكان كبيرا : ادركت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قلت : كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادته الجن ؟ قال : إن الشياطين تحدرت تلك الليلة على رسول الله ﷺ فى الأودية والشعاب وفيهم شيطان بيده شعلة من نار يريد ان يحرق بها وجه رسول الله ﷺ فهبط اليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، قل ، قال : ما اقول ؟ قال : قل : اعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق وذرا وبرا ومن شر ما ينزل من السماء ومن شر ما يعرج فيها ، ومن شر فتن الليل والنهار ، ومن شر كل طارق ، الا طارقا يطرق بخير ، يارحمن ، قال : فطفئت نارهم ، وهزمهم الله تبارك وتعالى(٥٨) .

والأدوية الالهية ـ كما يقول ابن قيم الجوزية ـ هى ادوية نافعة ، انه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية ، ودفع تأثيرها ، يكون بما يعارضها ، ويقاومها : من الأذكار ، والآيات والدعوات ، التى تبطل فعلها وتأثيرها ، وكلما كانت اقوى واشد ، كانت ابلغ فى النشرة ، وذلك بمنزلة التقاء جيشين ، مع كل واحد منهما عدته وسلاحه ، فأيهما غلب الآخر ، قهره وكان الحكم له ، فالقلب اذا كان ممتلئا من الله ، مغمورا بذكره ، وله من التوجهات والدعوات والأذكار ، والتعوذات ، كان هذا من أعظم الأسباب التى تمنع اصابة السحر له ، ومن اعظم العلاجات له بعد ما يصيبه(٥٩) .

---

(٥٧) محمد الرازى : مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

(٥٨) محمد يوسف الكاندهلوى : حياة الصحابة ـ مرجع سابق ، ص ٢٠٥ .

(٥٩) ابن قيم الجوزية : مرجع سابق ، ص ١٢٤ .

والالتزام بالكتاب والسنة : قولا وعملا يطرد الشيطان ، ويغيظه اعظم اغاظة ، روى مسلم فى صحيحه ، وأحمد فى مسنده وابن ماجه فى سننه عن أبى هريرة : ان رسول الله ﷺ قال : « اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكى ، يقول : يا ويله . أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار » .

وقد امر الله رسوله ﷺ بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين وحضورهم : « **وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون** »(٦٠) .

وهمزات الشياطين نزعاتهم ووساوسهم ، فالله يامرنا بالاستعاذة به من العدو الشيطانى ، اذ لا يقبل مصانعة ، ولا احسانا ، ولا يبتغى غير هلاك ابن آدم ، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم(٦١) .

وقد كان رسول الله ﷺ ، يكثر من الاستعاذة بربه من الشيطان ، بصيغ مختلفة ، فكان يقول بعد دعاء الاستفتاح فى الصلاة : « أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . من همزه ونفخه ونفثه » روى ذلك أصحاب السنن الأربعة ، وقد فسر همزة الشيطان : بالموتة ، وهى الخنق ، والنفخ : بالكبر ، والنفث : بالشعر .

* * *

---

(٦٠) المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ .

(٦١) عمر سليمان الأشقر : مرجع سابق ، ص ١١٦ ـ ١١٨ .

الفصل الخامس

الاطار المنهجى للدراسة

● تمهيد :

تعتبر الأفلام السينمائية جزءا من الثقافة الوطنية والقومية لأى مجتمع من المجتمعات المهتمة بصناعة السينما ، ومصر من المجتمعات المنتجة للأفلام السينمائية ، وتعتبر رائدة هذه الصناعة فى المنطقة العربية . لدرجة ان انتشار الأفلام السينمائية المصرية ، قد جعل اللهجة العامية المصرية ، والقاهرية منها بالذات ، أكثر اللهجات انعامية فهما وانتشارا فى البلاد العربية .

ومعظم هذه الأفلام تعبر فى مضمونها عن الواقع الاجتماعى فى شتى صوره ، كما تتضمن مجموعة من القيم والادراكات المتوارثة ، ويعتبر ذلك نقطة البداية فى اخراج أى عمل يتعلق بالنواحى المختلفة للحياة الاجتماعية .

ومما لا شك فيه : ان الثقافة تؤثر بشكل واضح فى نمو شخصية الأفراد ، من حيث امدادهم بأنماط السلوك الاجتماعى المختلفة المقبول منها وغير المقبول ، كما انها تؤثر فى انماط التفكير بالنسبة للأفراد ، وعادة ما يتوافق الأفراد مع الثقافة السائدة لأن لها تأثيرها الفعال على الأفكار والآراء والاتجاهات التى تتكون لديهم(١) .

ويرى « سوركن Sorokin » ان قيم الثقافة الفكرية تنتشر عادة حينما ترتبط أنساق المعرفة بالدين ، وخاصة بعد ان ساد العديد من

---

(١) Edward Sapir, Anthroplogie , Minuit Col. « Points, Paris, 1976 - pp. 75 - 76.

الأنماط المختلفة ، لظواهر الدين والسحر والايمان بقوى معلومة أو غير معلومة(٢) .

وهذا ما نلاحظه فى العديد فى الأفلام السينمائية فى الفترة الراهنة ، سواء اكانت هذه الأفلام عربية أم أجنبية فقد كثرت افلام الرعب التى تعتمد على القوى السحرية ، وتعتبر هذه الأفلام من أكثر الأفلام نجاحا فى العالم ، لأن هذه النوعية من الأفلام تثير خيال المشاهد ، وتحقق له نوعا من المتعة الفنية ، لأنها تنطوى على قدر كبير من الاثارة .

ولأن هذه الأفلام تتضمن بعض الحكايات الشعبية مصاغة فى قوالب أدبية وفولكلورية ، تعبر عن بعض الأساطير التاريخية ، وتتضمن مشاهد متعددة خاصة بالسحر والشعوذة تشد المشاهد اليها ، وتجعله يعتقد احيانا فى صدق بعضها فقد أهتم بدراستها كثير من علماء الاجتماع والانثروبولوجيا ، لما لها من تأثير واضح على الأفراد ، وعلى الوعى الثقافى بشكل عام .

ومن الممكن أن يختلف أفراد المجتمع فى نظرتهم الى حكاية معينة ، ويرجع ذلك الى درجة تعلمهم ، ومدى تقبلهم لبعض الأنماط الثقافية السائدة داخل المجتمع ، وقد يؤدى ذلك الى تباين فى وجهات نظر الأفراد من ناحية هذه الحكايات والأساطير(٣) .

ويجب الاشارة هنا : الى أن الحكايات الشعبية عموما تتميز بأنها تصور الحياة الواقعية ، بأسلوب واقعى ، أو بتجريد الأحداث ، واعطائها صيغة خيالية ، أو بتضارب الأحداث وتناقضها ، فتصبح شيئا غير ملموس ، كما فى الحكايات الشعبية المتعلقة بالقوى الاعجازية الخارقة ، فتجعل الحيوانات تتكلم ، وتقيم علاقات اجتماعية بين الانسان والجان (وهذا يتضح من الأفلام التى تم تحليل مضمونها) ، ولهذا يلعب الخيال الشعبى دورا هاما فى تصوير عالم الجان ، والملائكة .

---

(٢) Pitrim Sorokin, Social and Culture Dynamics American Book Company, Vol. 13 , 1973. p. 366.

(٣) Coffin, Cohen, Foloklore, from the working Folk of America Anchor Press, N. Y. 1974. p. 54.

وقد تعنى احداثا ، وعادات وتقاليد أشخاص معينين فى فترة معينة ، وفى مكان محدد ، ولكنها تعتمد على السرد وعلى بعض الصور الدرامية التى تثير المشاهدين(٤)٠٠

ومن المرجح ان يكون لهذه الأفلام تاثيرها فى احداث تغيير فى انماط التفكير الخاصة ببعض الأفراد الذين قد يعانون من بعض المشكلات التى لا يجدون لها حلا ، وبخاصة بعد أن تفاقمت الأزمة الاقتصادية ، التى ولدت بدورها شعورا متزايدا بالقلق والتوتر ٠

ولجأ البعض الى تقديم بعض الأعمال السينمائية التى توضح جوانب الأزمة فى أبعادها المختلفة ، وتوضح كذلك اهمية لجوء الأفراد الى الدين ، والتمسك بتعاليمه ، باعتباره الملجأ الوحيد للتغلب على كل المصاعب التى يواجهها الانسان ـ وخاصة اذا كان ذلك يتحدد رمزيا فى السحر والجان ـ ويتضح هذا من الأفلام التى تم تحليل مضمونها ٠

وكان الهدف الأساسى من تحليل هذه الأفلام :

أولا ـ أن نقف على دورها فى معالجتها لظاهرة السحر ، التى بدأت تنتشر هذه الأيام ٠

ثانيا : هل كان عرض هذه الأفلام ، لحل المشكلات التى تواجه الناس باللجوء الى الحل الدينى ، وتقوية الوازع الدينى عند الأفراد مقنعا ؟

ثالثا : هل انتشار الأعمال السحرية بين شريحة من افراد المجتمع ، على درجة عالية من العلم والثقافة (كما يتضح من هذه الأفلام) يعنى أن السحر ، واللجوء اليه لم يعد قاصرا على الطبقات الشعبية والريفية فى المجتمع المصرى ؟

ويعتبر هذا البحث من البحوث الوصفية التى تستهدف تصوير ،

---

(٤) فوزى رضوان العربى ، فاروق أحمد : دراسات فى الأنثروبولوجيا التطبيقية ـ مدينة العريش ـ الاسكندرية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٢ ، ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ٠

وتحليل وتقييم خصائص مجموعة معينة أو موقف معين ، يغلب عليه صفة التحديد ٠

وقد تم اختيار (فيلمين) يحتويان على ظاهرة السحر ، والتغلب عنيها باللجوء الى الدين ، وهما فيلمى « الانس والجن » ، و « التعويذة » ٠

واستخدمنا فى تحليل هذه الأفلام أداة تحليل المضمون (المحتوى) (Content Analysis) وهو الأسلوب الذى يهدف الى الوصف الموضوعى المنظم للمحتوى الظاهر للاتصال (الأفلام) وقد بدأ استخدامه ـ فى الوقت الحاضر ـ فى كثير من أبحاث علم النفس والاجتماع والأنثروبولوجيا والتربية ٠

واتسع مجال استخدامه ، بحيث شمل الكتب ، والرسائل ، والخطب ، والمحادثات ، والأفلام السينمائية ، وبرامج التليفزيون(٥) ٠

ويستخدم تحليل المضمون ـ عادة ـ فى دراسة الجمهور المستمع ، أو القارىء أو المشاهد ، وتأثير الاتصال عليه ويتضمن الكشف عن الاتجاهات والاهتمامات والقيم السائدة فى الجماعات المختلفة ٠

وتحديد محور الاهتمام فى تحليل الاتصال لهذه الدراسة ، يتضمن السحر والدين ، ووصف تأثير هذه المادة فى تغير الاتجاهات ، والأساليب السلوكية للأفراد ، فبدلا من اللجوء الى أعمال السحر والشعوذة لحل ما يواجههم من مشكلات ، يلجأون الى التمسك بقيمهم الدينية وزيادة ايمانهم بالله ، وتقوية الوازع الدينى فى داخلهم ٠

* * *

● **اختيار عينة المصادر :**

تم اختيار فيلمى « الانس والجن » و « التعويذة » ، بطريقة عمدية ، لأنهما من الأعمال التى اقتصر فيهما على معالجة موضوع السحر وتغطيته

---

(٥) عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعى ـ الطبعة التاسعة ـ القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ ، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٦

من الناحية الدينية ، بينما تعرضت الأفلام الأخرى للحلول النفسية ، ولمجال تحضير الأرواح ، وطرح فكرة التناسخ وكلها كانت تبتعد عن الحلول الدينية ٠

● اختيار العينة الزمنية :

يتطلب اى بحث ـ عادة ـ تحديد المجال الزمنى ٠

ولهذا تم اختيار هذين الفيلمين فى الفترة الواقعة بين عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨٨ ، وذلك لانتشار موجة افلام الرعب ، والمتصلة بعالم الأرواح فى هـذه الفترة وذلك فى معظم الأفلام الأجنبية والعربية ٠

● اختيار عينة الوحدات :

ويقصد بها جوانب الاتصال التى يمكن اخضاعها للتحليل ، ولهذا تم اختيار : وحدة الموضوع ، أو الفكرة ، لأنها تعتبر من اهم الوحدات فى دراسـة المضمون ، لأنها تكشف عن الآراء ، والاتجاهات الرئيسـية فى مادة الاتصال ، ولهذا تم تقسيم وحدة الموضوع الى مجموعة من العناصر حتى يتسنى القيام بتحليلها ، والوصول الى نتائج تثرى الدراسـة ٠

● تحديد فئات التحليل :

تشـتمل فئة الاتصال فى هـذه الدراسة على :

اولا ـ الموضوع الرئيسى : وهو السحر وعلاقته بالدين ٠

ثانيا ـ الموضوعات الفرعية :

ـ ارتقاء المستوى التعليمى والثقافى والسحر ٠

ـ الجان وكيفية التغلب عليها بالآيات القرآنية ٠

ـ الأماكن القديمة ، والمنـازل المهجورة ، وارتباطها فى محـور تفكيرنا بانها مسكونة بالأرواح ٠

● اتجاه محتوى الاتصال :

يعتبر اتـجاه محتوى الاتصال من الأمور الهامة التى حاولنا التركيز عليها ، وهو تأييده للدين باعتباره الملجأ الوحيد للتغلب على ما يعانيه

الانسان فى مادة الاتصال ومعارض لاتجاه الأفراد الى الأعمال السحرية لمواجهة مشاكلهم فى هـذه الفترة الزمنية ، التى ساد فيها التطور العلمى والتقدم التكنولوجى .

● **تحديد السمات :**

تم تحديد السمات الخاصة بالشخصيات التى تؤدى أدوارا رئيسية وفرعية داخل مادة الاتصال ، وتحديد أهم الخصائص السيكولوجية والاجتماعية بالنسبة لهم .

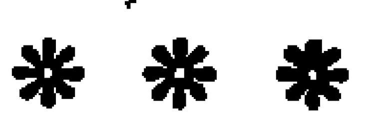
● **تحديد المكان الذى تصدر منه مادة الاتصال :**

المكان الذى صدرت منه مادة الاتصال هو : المجتمع المصرى ، وتم التعرض فى هذين الفيلمين لشريحة اجتماعية تنتسب الى الطبقة المتوسطة داخل هـذا المجتمع ، وهـذه الطبقة لها بعض الصفات والسمات ، تميزها عن غيرها من الطبقات الأخرى ، ولعل من ابرز صفاتها : التمسك بالدين وبالقيم الاجتماعية المتوارثة .

● **الوسيلة التى استخدمت فى مادة الاتصال :**

ويقصد بها تحديد الطريقة التى تم اتباعها فى الاقناع : وقد كانت الوسيلة فى هذين الفيلمين هى الاستعانة برجل الدين ، وبآيات الذكر الحكيم .

وتجدر الاشارة هنا : ان هـذه الخطوات اتبعت فى تحليل مادة الاتصال .



الفصل السادس

تحليل مضمون فيلمى
« التعويذة » و « الانس والجن »

أولا ـ تعريف الجان :

ولأن مادتى الاتصال يقوم الصراع فيهما بين الجن والبشر لتحقيق أهداف محددة . فمن المفيد معرفة : من هم الجان ، ما هى خصائصهم ، ولماذا سموا جانا ؟ ، وهل لذلك صلة باستتارهم وتخفيهم ؟

● الجـان :

الجن عالم آخر غير عالم الانسان وعالم الملائكة ، وبين الانسـان قدر مشـترك من حيث الاتصاف بصـفة العقل والادراك ومن حيث القدرة على اختيار طريق الخير والشر ، ويخالفون الانسان فى أمور أهمها أن أصل الجان مخالف لأصل الانسان .

وسـموا جنا لاجتنانهم أى استتارهم عن العيون : **« انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم »(١)** .

وأصل الجن أنهم خلقوا من النار فى قوله تعالى : **« والجان خلقناه من قبل من نار السموم »(٢)** .

والجن روح لطيف ياكل ويشرب ويتناكح ، ومن النـاس من يكلمهم ويستعين بهم ، وهم مكلفون مأمورون منهيون(٣) .

ولا بد هنا أن نتعرف على المعتقدات حول الجن فى الثقافة العربية

---

(١) الأعراف : ٢٧ (٢) الحجر : ٢٧

(٣) عمر سليمان الأشقر : عالم الجن والشياطين ـ القـاهرة ، دار الكتب السلفية ، ١٩٨٥ ، ص ٧ ، ٨

قبل وبعد الاسلام ، اذ أن هـذه الثقافة هى التى شكلت حلقة الوصل بين الثقافة العربية قبل الاسلام وبعده •

وتحفل الثقافة العربية قبل الاسلام بالمعتقدات حول الجن ، فهى تسكن الصحراء وتكمن فى الأشجار والأماكن القديمة والمهجورة وتقـوم بعملها ليلا ، وعادة ما تظهر فى شـكل كائنات غير منظورة ، أو فى صور بعض الحيوانات • وافعالها ضارة شريرة تهدف الى أن تلحق الأذى ببنى الانسان بالرغم من انها يمكن أن تقيم معه علاقات طيبة ، والوقاية منها تتم بالرقى والأحجبة •

وبعد ظهور الاسلام ظهرت صورا متعددة للجن فقد ورد ذكرهم فى القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية وفصل المفسرون فى الحديث عنهم وعن مراتبهم وانواعهم(٤) •

وفى القرآن الكريم ذكر الجن التى تؤمن بالدين وتصـدق بالكتب وذكر الجن التى تسـترق السـمع من السـماء والعفريت الذى تطوى له المسـافة وتنقاد له المصاعب ولكنه لم يذكر لها فى مجال التكليف عملا قط يسقط عن الانسان تبعته أو يجعل لها سلطانا عليه بغير مشيئته(٥) •

ومن الجان من يعشق الآدميين رجالا او نساءا (وهـذا ما نلاحظه في مادتي الاتصال موضوع الدراسـة) ومنهم من نما وكبر على الأذى والضرر وحب الانتقام •

والجن قبائل وعشائر كالانس تماما ويقع بينهم معارك وحروب عظيمة قد تؤدى الى زوابع واعاصير وهم يروننا من حيث لا نراهم فقد احتجبوا عن ابصارنا كما احتجبت الملائكة(٦) •

---

(٤) محمد الجوهرى : علم الفلكلور ، مرجع سابق ، ص ٣٧٤

(٥) محمد الرازى : قصة السحر والسحرة فى القرآن ، مرجع سابق ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣

(٦) السيد الجميلى : السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق ، دمشق ، بدون تاريخ ، ص ١٠٦ – ١١٠

● **استرضاء الجان :**

وبعض الناس يحاولون استرضاء الجن الذى يصرع الانسان بالذبح له وهذا من الشرك الذى حرمه الله ورسـوله ، وروى أنه نهى عن ذبائح الجـان ٠

وقد يزعم بعض الناس أن هذا من باب التداوى بالمحرمات وهذا خطأ كبير ، فالصواب أن الله لم يجعل الشفاء فى شىء من المحرمات ، وعلى القول بجواز التداوى بالمحرمات ـ كالميتة والخمر ـ فلا يجوز أن يستدل بذلك على الذبح للجن لأن التداوى بالمحرمات فيه نـزاع بـين العلماء ، أما التداوى بالشرك والكفر فلا خلاف بين العلماء فى تحريمه ولا يجوز التداوى به باتفـاق(٧) ٠

وللجن عالمه الخاص واتباعه ، وعلى المسلم أن يكون مع الله حتى ينجو من غضبه ويكون مطمئن النفس هادىء الضمير(٨) ٠

* * *

ثانيا : مادة الاتصال الأولى ـ فيلم « التعويذة »

● **تمهيـــــد :**

بعد هذا الحديث ـ غير القصير ـ عن الدين والسحر ، يمكننـــا تقـديم بعض النماذج العملية التى يمكن القول : انها تصلح لتطبيق الجانب العملى ، حول هــذه القضية الهامة ـ السحر والدين ـ وسيكون تحليل افلام : التعويذة ، والانس والجن ، نموذجا لمـا يتم عرضـه من أفلام سينمائية محورها الرئيسى : العلاقة بين السحر والدين ٠

ويمكن القول : أن هــذه الأفلام تعتمد اساسا على السحر الشعبى ، الذى يعتمد على المعتقد المحفوظ فى صـدور الناس ، وعلى الخبرات المكتسبة ، التى يتم تواترها ، وحفظها شفاهة فى المقام الأول ، مثل الحسد وما يدور حوله من معتقدات وممارسات ٠٠ والتفاؤل والتشاؤم من

---

(٧) عمر سليمان الأشقر : مرجع سابق ، ص ١٤٣ ، ١٤٤

(٨) بدر الدين عبد الله الشبلى : مرجع سابق ، ص ٣٠٥

الأسماء ، كالتفاؤل بكلمة أخضر ، والعزوف عن ذكر أسماء الأمراض الخطيرة مثل السرطان وغيره ، وذلك ايمانا بالقوة السحرية للاسم ، وكذلك عفريت الليل ، وما يسجله المعتقد الشعبى الشفاهى عنه من قصص وحكايات ، ولهذا نرى ميدان السحر الشعبى أكثر تأثرا بالتراث الشفاهى المتواتر فى المجتمع المصرى ، وابرز هذا التراث : البقايا المصرية القديمة ، والمسيحية القديمة ، والاسلامية الأولى(٩) .

ولأن فيلمى ، التعويذة (الذى الفه واخرجه محمد شبل) ، والانس والجن (الذى الفه محمد عثمان وأخرجه محمد راضى) يعتبران أقرب الأفلام ، واكثرها التصاقا بمسألة السحر والدين ، فان تحليل مضمونهما ، يساعدنا على توضيح ما نريد قوله هنا فى هذه المسألة ـ السحر والدين ـ التى شغلت الناس على مر العصور ، وما زالت تشغلهم حتى الآن .. وهذا لا يعنى اغفال اهمية افلام اخرى ، كالبيت الملعون ، واستغاثة من العالم الآخر ، وعاد لينتقم ، الى آخر هذه الأفلام التى يتم اخراجها وانتاجها بكثرة هذه الأيام .

* * *

● **تعريف التعويذة :**

وقبل الدخول فى تحليل مضمون فيلم التعويذة ، علينا أولا أن نلقى نظرة فاحصة على المعنى المقصود بكلمة « التعويذة » .. فالتعويذة : عبارة عن كلمات مفهومة أو غير مفهومة يقولها الساحر ، أو يكتبها بطريقة معينة ، ويؤمر الشخص الذى تصنع التعويذة لصالحه بأن يضمها فى مكان معين ، سواء فى جسمه ، أو فى مكان قريب من جسمه ، أو فى مكان قريب من عدوه ، اذا كان يريد قهره باستخدام التعويذة .. أو ابطال مكائده والتغلب عليه(١٠) .

وهى ايضا القيام بتلاوة بعض النصوص عددا من المرات ، وبطريقة

---

(٩) سامية الساعاتى : السحر والمجتمع ، مرجع سابق ، ص ١٠٤
(١٠) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ٨١

معينة ، وبمصاحبة البخور ، أو سفك لدم حيوان ، أو حرق لبعض الأعشاب ، أو الاتيان ببعض الحركات أو للطقوس الجماعية(١١) ٠

والاختلاف فى الرأى حول التعاويذ : هو اختلاف فى نسبتها الى السحر ، أو الدين ، فبعض الناس يعتبرون التعاويذ من صميم الدين ، وآخرين يميزون بين تعاويذ تدخل فى نطاق السحر ، وبين تعاويذ أخرى تدخل فى نطاق الدين ، ولعل ما يحسم مثل هذا الاختلاف فى وجهات النظر ، هو تحديد فاصل فيما بين السحر والدين ، يمكن الاتفاق عليه ، والأخذ به ، بحيث يقبله جميع الناس - (وهو ما تم عرضه فى للجزء النظرى من الدراسة) ٠

وتباينت طرق استخدام التعاويذ ، فمنها ما كان يستخدم بمصاحبة علاج من مرض ، ومنها التى كانت تتلى أثناء تحضير الدواء ، فتضيف الى تأثيره فعلا ايجابيا ٠

وتعد التعاويذ والتمائم : العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر عند قدماء المصريين ، وكانت فى نظرهم الواسطة التى تنقل الحماية الفعالة للانسان فى حياته الدنيوية ، وفى رحلته الى العالم الآخر ٠

وكان المصريون القدماء يحملون التعاويذ وهم أحياء ، ويضعونها على أجساد الموتى ، اعتقادا منهم بأن لها من القوى السحرية ، ما يدفع عنهم الأرواح الشريرة ، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهانئة ، بالاضافة الى أنها تحمى مختلف أعضاء الجسم(١٢) ٠

ويمكن القول - بوجه عام - أن التعويذة هى سحر فردى ، بمعنى أن الذى يستخدم للتعويذة لا يكون جماعة من الناس ، بل يكون شخصا واحدا ، قبالة شخص آخر ، حيث يدفع ألعداء الفردى بكل من الشخصين المتخاصمين الى الساحر ، ليحيك لهما تعويذة لكى يدفع بها كل منهما

---

(١١) يوسف ميخائيل اسعد : معتقدات وخرافلت ، مرجع سابق ، ص ٢٦٣

(١٢) سامية الساعاتى : مرجع سابق ، ص ٤٠

كيد الآخر من جهة ، ومن جهة أخرى ـ يجلب النوائب والمصائب ـ سواء بالمرض أو الفقر أو الجنون ٠٠ الخ ٠ على الطرف الآخر ٠

* * *

ولا شك ان التعاويذ تعتمد على مدى ايمان حاملها او مؤديها بها وعدم دخول الريبة فى فاعليتها ، ومن هنا فان علماء النفس يعزون فاعلية التعاويذ الى القابلية للايحاء ، والتصديق والايمان بفاعليتها(١٣) ٠

ولنرى ماذا فعلت تعويذة الزوجة « راوية » فى فيلم التعويذة ، وما صلة تعويذتها بمسالة « السحر والدين » الذى نتعرض له فى هذه الدراسة ٠

● فيلم « التعويذة » ٠٠ من تاليف واخراج محمد شبل ، وتم عرضه (كمادة اتصال) فى بداية عام ١٩٨٨ ٠

فى تحليلنا لفيلم التعويذة ، سنتعرض اولا للبناء الدرامى لشخصيات الفيلم ، ثم نحاول تحليل المضمون الاجتماعى والثقافى لهذه الشخصيات ، من خلال الحوار ، وعناصر الصراع التى حكمت الأحداث المتلاحقة ، وصلة ذلك كله بالمناخ الاجتماعى الذى حدث فيه الصراع ، هذا بالاضافة الى بعض الملاحظات العامة التى تدخل فى تحليل المضمون الاجتماعى ٠٠ ونختم ذلك كله برأينا فى مسالة الدين والسحر فى فيلم التعويذة ٠

* * *

● البناء الدرامى والاجتماعى للشخصيات :

ان الأسرة التى قدمها لنا فيلم التعويذة : هى أسرة مصرية صغيرة ، تعانى من ضيق المكان ، وضيق ذات اليد ، وتسعى جاهدة الى مجرد الاستمرار فى حياة تتزاحم فيها الأعباء التى تثقل كاهل كل فرد من افرادها ٠

انها أسرة عادية ، تتكون من أم وابن وزوجة الابن وطفلها واختين ٠

---

(١٣) يوسف ميخائيل اسعد : مرجع سابق ، ص ٢١٣

وتشـترك جميعها فى خيط اساسى واحد : هو قوة ومتانة الانتماء الى الوطن ، والوطن من وجهة نظر هـذه الأسرة المصرية العادية ٠٠ هو البيت ٠٠ الوطن بيت ، هل يتخلون جميعا عن هـذا البيت الذى تركه لهم والدهم ، أم يحتفظون به ؟ صحيح أنه بيت قديم ولكنه جزء منهم ومن تراثهم ، الأم وهى فى بنائها الدرامى كأى أم مصرية عادية ، تحب البيت ، ولكنها تريد أن يوافق ابنها محمود على بيعه ، ويشترى بثمنه شـقة جديدة ، وما يتبقى من ثمنه ، يساعدهم على زواج البنتين ، وعلى مواجهة تكاليف الحيـاة ، التى تزداد اعباؤها يوما بعد يوم ٠٠ تكثر من قراءة القرآن ، وكتاب الله لا يفارقها حتى وهى نائمة ، تضعه على صدرها ٠

والابن « محمود » شاب مثقف ، يعمل مدرسا للتاريخ ، ويؤمن تماما بأهمية التفكير العقلى والعلمى ، شخصيته متماسكة امام اهوال الحياة ، يحب البيت ، ويرى فيه تراثا عائليا ، لا يجب التخلى عنه ، مهما كانت اغراءات الثمن المرتفع ، ويرى فى الاحتفاظ به ، احتفاظا بذاته الانسانية ٠

وهو ليس ضد الانتقال الى شـقة جديدة فى أحد الأبراج السكنية العالية ، ولكنه يرى ان هـذا الانتقال ، اذا حدث ، يجب أن يكون نتيجة لجهده وعرقه ، ولا يجب أن يكون الثمن هو التخلى عن بيته القـديم أو عن ذاته ٠٠

ورغم ضآلة دخله كمدرس ، يقبل على شراء الكتب وقراءتها ، ويحاول فى تدريسه للتاريخ : ان يحيى فى وجدان تلاميـذه ماضى الأمة العربية الاسلامية المجيد ٠٠ انسان جاد ، ملتصق ببيته القديم ووطنه وماضيه ، ومؤمن أيضا بمستقبله ، غير مكترث بكل ما يحيط به من مباهج زائفة ٠٠ وهـذا لا يعنى أنه انسان سلبى ، متقوقع على ذاته ، لأن له رأيه الخاص فى كل ما حدث من تغير فى البنية الاجتماعية والثقافية لوطنه ، بعـد الانفتاح ، له رايه المسـتقل فى الثقافة والاعلام ومسلسلات التليفزيون ، ونوع الحياة التى يجب أن يتمسك بها الناس من اجل سلامة حاضرهم ومستقبلهم ٠

ولعل افضل دلالة على ثقافته الواســعة ، هو قوله ردا على أخته ، وهم يعاينون احدى الشقق التى يريدون السكن فيها ، وهى فى عمارة شاهقة : ان هــذه العمارات لا تزيد عن كونها « غابة من الأسمنت » ـ وتقول أخته : « دى ناطحة سحاب » يرد عليها : « ناطحة سحاب ليه ، ميروحوا يعمروا الصحرا افضل » !!

وعلى الرغم من اننا ما زلنا هنا فى مجال تقـديم البناء الدرامى لشخصيات التعويذة ، ولم نصل بعــد الى العنصر الرابع الذى حددناه منذ البداية ، والخاص بالتعليق على الملاحظات العــامة التى تدخل فى مجال تحليل المضمون الاجتماعى والثقافى لفيلم التعويذة .

الا اننا سنحاول تفسير عبارة « غابة من الأسمنت » التى جاءت على لســان الابن محمــود ، لمزيد من الدلالة على انه انسان متماسك ، وعلى درجة عالية من الوعى الثقافى والاجتماعى .

فتعبير « غابة من الأســمنت » الذى اطلق على المــدن المزدحمة بالعمارات الشــاهقة الارتفاع ، تعبير جيد ، تم استخدامه فى العشر سـنين الأخيرة فى أعمال ادبيــة متعددة فى أمريكا الجنوبية ، ويقـل استخدامه كثيرا فى الأدب والفكر العربى المعاصر ، لدلالته السياسية .

فقد امتلأ التراث الثقافى العالمى ، بادبيات المقاومة ضد الاحتلال الأجنبى ، وضد المظالم الاجتماعية ، بكون الرافضين للمظالم الاجتماعية ، كانوا يحتمون بالغابات التى تشكل ساترا طبيعيا يحميهم فى قتالهم ضد الظلم الاجتماعى والاحتلال الأجنبى .. ولأن معظم البلدان لا تملك مثل هــذه الغابات الشاسعة ، فقد خرجت آراء تقول : ان المــدن بكثافتها المعمارية ، وعماراتها الشــاهقة تشكل غابات اسمنتية ، يمكن الاحتماء بها فى القتال ضد الاحتلال الأجنبى ، وضد المظالم الاجتماعية ، وأن هــذه السواتر الأسمنتية ، لا تقل فى اهميتها عن السواتر الطبيعية التى توفرها المساحات الشاسعة من الغابات الطبيعية .. ، ومنذ ذلك الوقت عرفت حرب المــدن ، والقتال الطويل المدى الذى يحدث بين القوى الاجتماعية المتصارعة فى أمريكا اللاتينية .

ولعل الاستخدام السيء لهذا النوع من حرب المـدن قد تم العمل به فى الحرب الطويلة المـدى بين الفئات السـياسية والاجتماعية والعرقية والدينية فى لبنـان !!

الابن محمود اذن شخصية مثقفة ، وواعية ومتماسكة ، وهو لا يريد أن يتخلى أبدا عن بيته الذى تركه له والده ، رغم كل الظروف التى اخذت تضغط على عقله وتفكيره .

أما زوجة الابن « راوية » فهى انسانة متعلمة تخرجت من الجامعة ، وتزوجت محمود ، وتفرغت لرعاية طفلها وزوجها .. وهى تقطن فى منزل العائلة ، تشارك الأم واخوات زوجها البنات ، وهى تحب زوجها بوعى ، وعقل وارادة متفتحة ، وتوافق الجميع على أهمية بيع البيت ، والسكن فى شقة منفصلة ، لتعيش حياتها مع زوجها وطفلها الذى ترعاه ، وهى الشخصية الرئيسية التى ركز عليها الساحر لتخويفها ، لتؤثر على زوجها ، لبيع البيت ، وهى التى حملت التعويذة التى دمرت بها السحر الغامض ، الذى كاد أن يدمر حياتها ، ولكنها وهى تتعرض للاعتداء المسـتمر من السحر ، ووسائله الجهنمية ، كان خوفها يتعادل مع حبها لزوجها ، فلم تكن وسـيلة ضغط كافية ، بقدر ما كانت تشرح فى هدوء لزوجها مجموعة مخاوفها ، وتترك له حرية الاختيار .

ولكى تحاول التخلص من كل ما يواجهها من شرور بفعل السحر ، لجأت الى وسائل بدائية ـ وهى الانسانة المثقفة ـ مثل الزار ، الذى انخرطت فيه حسب اقتراح أم زوجها . فلطخت وجهها بدماء الطيور الذبيحة ، لكى تجعل الأسـياد يحمونها هى وطفلها وزوجها من الجان الذين يعكرون صـفو حياتها .

أما الأختان .. « فاتن » و « نادية » ، فان كلا منهما يعبر عن اتجاه مختلف فى الحياة الاجتماعية المصرية .. كيف ؟

ان فاتن مثال للفتاة المصرية النقية المتمسـكة بكل أنواع الفضـائل الاجتماعية ، شخصية مثقفة وواعية أيضا ، لها رأيها الخاص فى كل ما يدور حولها من خلخلة حضارية وثقافية واجتماعية .

يسمونها « ثائرة هانم » ولكنها تقول عن نفسها : « أنا لست ثائرة هانم ، ولكننى مش فاهمة هانم » ! تعلق خلف سريرها فى غرفة نومها المشتركة مع أختها نادية ، صورة أم كلثوم ، تخرجت من الجامعة ، بعد أن درست الاقتصاد والعلوم السياسية ، وكانت تود ان تعمل فى مكان يستوعب طاقاتها وثقافتها ، ولكنها عينت فى الاذاعة ، وفى قلم الشطب !! حيث انضمت الى زميلاتها الأربعين ، والذين لا يفعلون شيئا طوال يومهم سوى التوقيع فى دفاتر الحضور والانصراف ، ولهذا كانت شديدة التبرم بكل ما يحيط بها من أمور لم تستطع ان تستوعبها ، فتملكتها مشاعر الغربة والاغتراب ، وكانت فاتن على طول عرض فيلم التعويذة مصدرا رئيسيا لاطلاق الملاحظات الواعية ، التى تعبر عن تبرمها من خلل البنية الاجتماعية والثقافية ، الذى صاحبه خلل فى سلم القيم بشكل عام .

فعندما كانت المياه تنقطع عن بيتهم ، كانت تقول : « هل هو بفعل الجان ؟ أم بفعل تقصير البشر فى أداء الخدمات » !!

وتقول : « لازم يغيروا السستم كله من جديد ، مواسير مستهلكة ، وخزانات ضاربة ، ومجارى طافحة » - وتقول ايضا : « شعب بياكل جبنه بيضه دانمركى ، وبيدلق اللبن فى الترعة ، وبيعدم البيض ويفطس الكتاكيت بالمليون ، وهو مش لاقى فرخة !! حد يفهمنى ايه اللى بيحصل ده » !!

وعندما تحتج راوية - زوجة محمود - على ما يعرض من افلام فى التليفزيون ، وترد الأم : « انها تسلية تنسينا الهم اللى احنا فيه » ترد فاتن « اى هم ؟ انهم يزودون همومنا ؟ فالمفروض فى التليفزيون ان يكون أداة توعية ، يطور الناس ، يثقفهم ، ينمى وعيهم .. من يخدرهم بدون تخلف عقلى ، دا يبقى صندوق تخدير » ويرد عليها أخوها محمود قائلا : « المسلسلات بقت فعلا عاملة زى المخدرات » .

وتقول فاتن : « تذكرة المسرح بقت بـ ١٥ جنيه ، يعنى نص مرتبى ،

ولما رحت الى السينما ، ملاقيتش فى الفيلم حاجة ، لقيته حشيش وغوازى ، دا غير قشر اللب ، والتعليقات الخارجة عن اللياقة والأدب » .

وتقول فاتن عن رقص الديسكو : « الديسكو عبارة عن شوية هلافيت ، فاكرين نفسهم خواجات ، عاملين نفسهم امريكان .. همه فاكرين ان دى هى الحضارة » !!

وتقول ايضا : « نفسنا نمشى ونشم شوية هوا ... لكن اذا كان الهوا كله عادم عربيات ، والعربيات مرصصة فى كل حته ، وبقت أكثر من البنى آدمين ... نعمل ايه » لما

وارادت فاتن أن تخرج من غربتها الذاتية ، وتحاول أن تتفرغ لدراسة الماجستير ، وعندما ذهبت الى رئيسها فى قلم الشطب فى الاداعة لتطلب موافقته على اجازة بدون مرتب لمدة عامين قال لها : « دواعى العمل لا تسمح بذلك » ..

قالت فاتن : «ليه ؟ دا احنا اربعين موظف وموظفة ، ولا نفعل شيئا» ؟
قال لها الأستاذ عبد السميع رئيس قلم الشطب : « شوفى بقى..أنتى فاكره ان المسألة سهلة .. دا لازم تبلغى شئون العاملين والشئون المالية والادارية .... الخ ، وقبل هذا كله لازم تخدى موافقة رئيسك المباشر اللى هو انا ، وانا غير موافق ، وهذه هى التأشيرة : « دواعى العمل ومصلحة الادارة لا تسمح ، ولا تستطيع الادارة ان تستغنى عن خدماتها نظرا للنقص الشديد فى مجال خبرتها ، وذلك لخدمة الشعب والوطن » !!

فاتن : « اذن ، فتاة مصرية فى بداية حياتها ، تتميز بتوهج الشخصية والوعى ، ولكن كل ما حولها يصيبها بالاحباط الشديد ، ويقودها الى الغربة والإغتراب ، عن الذات ، والوطن ، والبيت ايضا » !!

أما « نادية » بنت العائلة الثانية ، فهى على النقيض تماما من فاتن فقد رسبت فى الثانوية العامة مرتين ، وتعيدها للمرة الثالثة ، تدخن السجائر ، وتجيد رقص الديسكو ، وتحضر حفلاته بانتظام مع زميلاتها

وهم جميعا يحلمون بالفيديو والمسجل والمروحة الكهربائية « ام ساعة » ، وتقول نادية لزميلاتها ، وهن يتجاذبن اطراف الحديث ، اثناء جلوسهن على سلالم المدرسة : ان اخوها محمود لا يهتم بهذه الأشياء التى تحبها ، وهو يدخر من أجل شراء شقة ، ولكنه يشترى كتبا كثيرة ، فيضحكن جميعا على هذه الملاحظة ويقلن : ماذا يفعل بهذه الكتب ؟

واذا كانت فاتن تعلق صورة ام كلثوم خلف سريرها ، فان اختها نادية تعلق خلف سريرها صورا متعددة ، منها صورة فرقة البيتلز الانجليزية ، والفيس بريسلى الأمريكى ، ومايكل جاكسون ، ومعظم نجوم الغناء الغربيين ، وتحتفظ بالمسجل الى جانبها ، لتستمع الى اغانى هؤلاء ، وموسيقى الديسكو ، واشرطة هؤلاء مبعثرة حتى على مكان نومها !!

وعلى عكس فاتن ، فان نادية لا تشعر بأى نوع من الاغتراب ، ولا تتملكها اية انواع من مشاعر الاحباط ، فهى مندمجة مع مشاعرها وطموحاتها اللامحدودة ، وتحلم بالزوج الذى يوفر لها سهرات الديسكو ، والفيديو والتليفزيون الملون ... الخ .

بقيت شخصية «سالم بك» ... الذى يريد شراء بيت العائلة وهو شخصية تعمل فى الاستثمارات العقارية ، يملك نفوذا ضخما عند اصحاب الأبراج السكنية ، وتظهر فى أول لقطات فيلم التعويذة ، سالم هذا يرتعش ويتمطى بعنف ، وكأنه قد مسه جن ... وهو يعرض على العائلة خمسون الفا من الجنيهات ثمنا لبيت قديم فى مكان مهمل ، وبعيد عن العمران . ويصر اصرارا شديدا على شراء هذا المنزل القديم مستخدما الجن الذى لبسه ، او ان الجن هو الذى يستخدم سالم بك ، يستوى الأمر ، المهم أنه يريد البيت بأى شكل كان ، وتبدأ عناصر الصراع الدامى فى عرض مادة الاتصال ، بين الجن أو سالم بك ، وبين الأسرة التى عرضنا لبناء شخصيتها الدرامية والانسانية ، ويبدأ الصراع .

والصراع هنا هو صراع بين السحر والدين .. كيف ؟ ان سالم بك يريد شراء البيت بأى ثمن ، فى الوقت الذى يرفض فيه محمود بيع هذا البيت ، ولكن سالم بك ، او الجن الذى لبسه فى سبيل حصوله على

البيت : يقوم باعمال معينة من شانها ان تلقى الرعب والخوف فى قلوب افراد الأسرة ، وبصفة خاصة على زوجة الابن ، مع احراق محتويات للبيت وتحطيمها ، وتجد الأسرة نفسها فى حالة صراع مع قوى غير ملموسة لا يمكن مواجهتها بالأساليب المعروفة فى المواجهة ، والابن فى حالة صراع داخلى ، بين بيع البيت الذى يمثل بالنسبة له التراث الذى يجب التمسك به ، وبين انقاذ أسرته من هذه الأشياء المخيفة التى اصبحت تهددهم جميعا ، وتحاول الأسرة مقاومة هذه القوى الشريرة بشتى الطرق ، ولكنها تفشل •

وكان الدين هو الحصن الأخير الذى تحصنوا به جميعا فى مقاومة القوى الخفية الشريرة ، وهنا تقول لنا اداة الاتصال ، وباختصار شديد : « ان الدين هو الوسيلة الوحيدة لمقاومة كل هذه القوى الشريرة (السحر) والقضاء عليها »(١٤) •

❊ ❊ ❊

ويمكن القاء الضوء على نوع الصراع الذى حدث بين الدين والسحر فى أداة الاتصال ، والذى كان مجاله تلك المساحة العقلية والوجدانية والنفسية والروحية بين الساحر (أو الجنى) وافراد الأسرة •

ولكى يكون تحليل المضمون اكثر واقعية ، علينا أن نبدأ أولا بالسحر فى اداة الاتصال ، ثم الدين ••

(أ) السحر :

فبالاضافة الى انقطاع المياه المفاجىء وانقطاع التيار الكهربائى أيضا ، وعودته بشكل متقطع وهيستيرى ، يتم تحطيم الأوانى المنزلية بشكل مفاجىء ، وامام أعين افراد الأسرة ، وتشتعل النيران فى كتب وكراريس طلبة محمود ، والذى كان يقوم بتصحيحها ، تأدية لواجبه كمدرس ، وتطير لعب الطفل أمامه مخلفة وراءها أصواتا صاخبة ،

---

(١٤) مجلة القاهرة ــ العدد ٧٨ ــ فى ٢٣ ربيع الآخر ١٤٠٨ هـ ، (١٥ ديسمبر ١٩٨٧ م) ــ القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٦٧

وعندما كان محمود يســير فى الطريق ، ومعه خطيب اخته (ضابط الشرطة) تخرج شــاة من قطيع يســير فى الطريق وتقف امام عمارة شــاهقة يتم تشطيبها ، وترسل من عينيها أشــعة مخيفة ، تخلع لوحا زجاجيا ضخما من آخر دور فى العمارة ، لكى يسقط فوق محمود ، وهو يســير فى الطريق ، ولكن مرافقه ـ ضابط الشرطة ـ يلاحظ هــذا اللوح الزجاجى ، فيقذف بمحمود وبنفسه فى آخر لحظة بعيدا عن اللوح الزجاجى القاتل ، هــذا بالاضافة الى قذف الزوجة « راوية » المستمر من فوق سريرها وفى غرفة نومها ، ومحاولة قذف الطفل من أعلى شرفة فى المنزل ، عندما تدحرجت كرته التى كان يلعب بها ، وهو يجرى وراءها دون أن يلمسها .

وعندما جاء عادل خبير المعمل الجنائى ، لكى يفحص بقايا عبث وتصرفات « الجان » فى المنزل ، شــعر بالاختناق ، فأخــذ العينــة والتقطها من فــوق الأرض وهــرب مسرعا من المنزل ، وبينما كان عادل منهمكا فى تحليــل العينة ـ ويبدو أنه قد توصــل الى شىء ما ـ أخذت « الجان » الغير مرئيــة بزمام رقبته ، وطرحته أرضــا ، وقتلته ، ودمرت انابيب الاختبــار ، وأدوات المعمــل الجنــائى ، وكل المحاليــل الكيميائية التى تســتخدم فى البحوث الجنائيــة .

ولكن التقرير الذى كتبــه عادل ، كان قد وصــل قبل الهجوم عليه الى ضابط الشرطة ، خطيب نادية ، وعنــدما أخذ هذا التقرير معــه فى ســيارته ، توقفت الســيارة فى الطريق والدخان يتصاعد منها ، وعندما نزل منها وفتحها لكى يعرف مصــدر هذا الدخان ، وذهب لكى يتحدث تليفونيا الى محمود ، توقف الدخان المتصاعد من الســيارة ، وتحركت بدون ســـائق ، وانطلقت مسرعة ، لتدخل فى جدار سميك ، وتشتعل فيها النيران ، وفيها تقرير المعمل الجنائى !!

(ب) الدين :

عندما كان « الجان » يقومون بحرق الكتب وغرفة مكتب محمود ، كان كل شىء تطوله النيران ، ما عدا اسم الجلالة « الله » المعلق فى لوحة ، على أحــد جــدران الغرفة ، وكل شىء يحترق ما عدا المصحف الشريف الذى كان وســط النيران الملتهبة ، ولكنــه لم يحترق .

وعندما كانت فاتن تجلس فى المنزل وحـدها ، وذهبت لاعـداد كوب من الشـاى فى المطبخ ، وفتحت الدولاب لكى تحضر شيئا ، امسك « الجنى » بيدها ، وناداها باسـمها ، وعندما سقطت مذعورة على الأرض رات شاتا تركز على عينيها باشـعة رهيبة ، تخرج من عينى الشـاة فى اتجاه عينى فاتن ، وحوافرها تضرب الأرض بعنف مما اثر على طلاء الجدار الملاصـق لسقوط فاتن ...

وعندما خرت فاتن مغشـيا عليها ، فقدت النطق ولم تبد حراكا . ولم ينقذها الا قراءة القرآن .

* * *

والمشـاهدة النقدية لمـادة الاتصـال ، تقودنا الى التفكير فى مجمل القضـايا والظواهر الاجتماعية التى طرحتها .

ويمكن القول : ان منهج التفكير وسـط افراد الأسرة فى مادة الاتصال قد انقسم الى ثلاثة اقسام :

الأول ـ تفكير علمى وعقلى وموضوعى : وهو السـمة التى تميز بها تفكير الابن الأكبر للأسرة (محمود) الذى كان يردد دائما ، وسـط الرعب الشـامل الذى خلفته اعمال السـحر والجان لأفراد عائلتـه : « احنا ناس متعلمين ، وعارفين ان كل شىء لا بد له من تفسير علمى » ـ وعندما عاد الى المنزل ، ووجـد حلقة الزار منصوبة فيـه قال لزوجته ولمه : « يا خسـارة التعليم والثقافة ، وانتى يا أمى يخش عليك الكلام ده ، يا ست يا مصلية ، تعملى الحاجات دى ، اللى لا يقبلها شرع ولا دين ولا قانون » ؟!

ثم يقول : « شوية الحرامية والأفاقين دول ، همه اللى هيزيحوا الشر اللى انتم حاملين همه » ؟ ـ ويقصد بذلك اعضاء حلقة الزار ـ وعندما تحرضـه زوجته « راوية » على ضرورة ان يتحدث مع احـد فى هذا الذى يحدث لهم ، يرد عليها بقوله : « اقول ايه : اقول ان عنـدى عفش بيتحرق من غير سبب ، وان فيـه حاجات بتحصـل مالهاش تفسـير ... ولا يقبلها عقل ولا منطق » !!

ولكن محمود ذو النزعة العقلية والعلمية فى التفكير اعترض بشدة على الزار كحل لأزمة الأسرة ، ولكنه لم يعترض على اللجوء الى الدين كحل لهذه الأزمة ، عندما استدعت والدته شيوخا لقراءة القرآن فى المنزل ، لتطهيره ، ومرة أخرى يتأكد عدم الفصل بين الدين والعلم ، أو بين الدين والتفكير العقلى ٠٠ تماما مثلما لم يعترض الطبيب على تلاوة القرآن بجانب سرير مريضته ٠

الثانى ـ تفكير خرافى : عندما قاد اليأس الأم والزوجة المتعلمة الى اللجوء الى الشيخة «روايح» التى قالت عنها الأم : « ان سرها باتع ، وبيقولوا ان فيه واحد من الأسياد مخاويها » لكى تعقد لهم حلقة زار ٠

والتفكير الخرافى ، يتمثل فى اعتقاد أو فكرة لا تتفق مع الواقع الموضوعى ، أو تتعارض معه ٠ وتزداد هذه المعتقدات انتشارا ، كلما زادت ظروف الحياة صعوبة ، وكلما زادت الأخطار التى تهدد كيان الجماعة دون أن يجدوا وسيلة ايجابية لدرئها أو تجنبها ، أى أن مثل هذا التفكير يكثر ويعم وينتشر فى حالات القلق والاضطراب والشعور بالضعف والعجز عن مواجهة مشكلات الحياة ومخاطرها ، وتجعل مثل هذه الظروف القلقة الانسان أكثر استعدادا وقبولا لهذه الأفكار والتفسيرات ، وذلك لقصوره عن تحرى أسباب المشكلات التى يواجهها ، وعن فهمها فهما عميقا ، ولعجزه عن التغلب عليها ودرء شرورها(١٥) ٠

والواقع أن حفلات الزار والعقائد المرتبطة بها ، لا تطمح الى تخليص الشخص الملبوس من تلك الجن المسيطرة عليه ، بل هى تطمح فقط الى تحقيق نوع من المهادنة والانسجام بين اللابس والملبوس ، أو أن حفلة الزار تعمل على ترويض الجن ، وتسكين فرائضها ، فكأن الزار بمثابة رشوة تقدم الى الجان لكى يترفق بالشخص الذى يسكن فى جسده وحتى لا تؤذيه وتعذبه(١٦) ٠

---

(١٥) سامية الساعاتى : السحر والمجتمع ـ مرجع سابق ، ص ٦١ ٠

(١٦) يوسف ميخائيل أسعد : معتقدات وخرافات ـ مرجع سابق ، ص ٢٣٧ ٠

وفى حفلات الزار تستخدم الحيوانات والطيور قرابين للأرواح ، وهذه الخيوانات فى العادة ذات صفات معينة فى أنواعها والوانها ، وتظهر الصورة التوتمية القديمة فى حفلات الزار فى أوضح صورها حين يزين الحيوان بالورود ، وتدور به المريضة حول الحلبة عدة مرات ، ثم يذبح ، فتدهن بدمه .

ولعل القرابين والهدايا والرقص الطقسى فى طقوس الزار ، أو البورى فى مصر وحوض النيل الأعلى ومناطق أخرى فى افريقيا ، هى بقايا سحرية دينية ملتصقة بالحضارة الشعبية من أجل استجداء الأرواح والجان ، لأغراض التطبيب البدنى أو النفسى(١٧) .

* * *

وهذا التفكير الخرافى المتمثل فى الزار لم يحل دون الجان والسحر وتنفير حالة الرعب والفزع داخل الأسرة ، بل انه وسع الهوة فى داخل نفس الزوجة « راوية » ، مما عمق فزعها وخوفها .

الثالث ـ تفكير دينى : أو الايمان الدينى العميق .. ويتمثل ذلك منذ البداية عندما كان كل شىء يحترق ويبقى وسط مخلفات الحريق ، اسم الجلالة المعلق على الحائط ، وأى شىء يحتوى على آيات القرآن الكريم .. سليما لا تحرقه نار الجن .

وعندما كانت الزوجة « راوية » فى قمة خوفها كان الشيخ قارىء القرآن ، الذى اتسمت شخصيته فى مادة الاتصال ، بالمهابة وصلابة الايمان وعمقه ، يزورهم متطوعا للاطمئنان عليهم ، وفى احدى زياراته يقول للزوجة راوية : « سلامو عليكم يا بنتى ، كلكم كويسين .. الحمد لله .. لا تخافى من شىء طول ما ايمانك قوى .. ولا تخافى من العفريت .. انه جبان » .

ثم يقول لها فى زيارة أخرى : « خلى ايمانك قوى ، لأن الايمان القوى تهتز له الجبال .. وكل الأسئلة التى تسألين عنها ستجدينها فى كتاب الله .. وايمانك القوى هو وحده الذى سيحميك » .

---

(١٧) محمد رياض : دراسة فى النوع والحضارة ـ مرجع سابق ، ص ٥٦٤ .

ومن الملاحظ فى مادة الاتصال ، ان مجرد وجود الشيخ فى المنزل ، أو على مقربة منه ، يجعل الجنى يختفى ، مثال ذلك عندما أراد الجنى أن يغدر بالطفل ، واخذ يحرك الكرة أمامه والطفل وراءها . لكى يقذف الكرة والطفل من أعلى الشرفة ، وفى هذه اللحظة ، دخل الشيخ من باب البيت الرئيسى ، فتوقفت الكرة واختفى الجنى ، وتم انقاذ الطفل .

وعندما تعرضت « فاتن » لأزمة لقائها مع الجنى وهى فى البيت بمفردها ، والذى ظهر لها فى صورة شاة ترسل الأشعة المخيفة من عينيها ، لم تفق الا بعد ان قرأ الشيخ وزملاؤه القرآن حول سريرها فى المستشفى ، وفى وجود الطبيب الذى فشلت كل عقاراته الطبية فى جعل « فاتن » تتحرك ، وهنا أيضا لم يختلف العلم الذى يمثله الطبيب مع الدين الذى يمثله قراءة القرآن ..

وفى نهاية مادة الاتصال ، كانت التعويذة التى كافحت بها الروجة « راوية » فى مصعد المستشفى المظلم الجنى ، كانت هذه التعويذة تحمل « آية الكرسى » .

* * *

الدين اذن هو الذى انقذ الأسرة من الجن الذى حول حياتهم الى جحيم ، ولكن لماذا لم يستطيعوا التغلب عليه منذ البداية ؟

ان مادة الاتصال ارادت ان تثبت انه ليس مهما ان يكون الفرد مسلما بالاسم وشهادة الميلاد ، ولكن الأكثر من ذلك اهمية ان يكون ايمانه قويا وعميقا ، ويكون بوسعه آنذاك : ان يتغلب على ما يصادفه من مصاعب ، حتى ولو كانت مصاعب سحرية .

* * *

● **النتائج المستخلصة :**

ـ ان المجتمع المصرى وهو يتحول الى اتجاهات جديدة فى التنمية والثقافة ، قد ظهرت فى أعماقه اتجاهات بعدم القبول ببعض نتائج هذه التحولات ، أو عدم الحماس لها ، واذا كان اى تحول اجتماعى

او اقتصادى او ثقافى فى اى مجتمع من المجتمعات ، يصاحبه بعض القصور ، والسلبيات المصاحبة لمثل هذا التحول ـ وهذه حقيقة علمية ـ الا ان نجاح اى مجتمع يتحول ، تكمن فى قدرته على اقناع افراده ، بأهمية وضرورة هذا التحول ، لكى يتم تقبل عام لها ، ثم يتطور هذا التقبل الى اقتناع ثم حماس لهذا التحول .

وواضح ان التجربة المصرية فى التحول ـ فى السنوات الأخيرة ـ لم تستطع أن تكتسب الى جانبها تأييدا اجتماعيا يكفى لتجديد ديناميتها فى التقدم الاقتصادى والثقافى والاجتماعى ، ونتج عن ذلك سلبيات متعددة ـ طغت فى الشكل العام ـ على مجموعة الايجابيات انتى لا يمكن اغفالها .

ـ ان العلاقة بين المدرس وتلاميذه ، التى افرزها التطور الاجتماعى فى مصر الآن ، تسير فى اتجاهات سلبية ، معاكسة تماما للاتجاهات التى كانت سائدة فى مصر ، والتى كانت تحكمها ثقافة عامة سائدة ، يتم التعبير عنها دائما فى ادبيات المجتمع المصرى ،وثقافته وفنونه وقيمه ، فقد تحول احترام وتقدير المدرس الى سخرية وعدم اكتراث ، وعدم الاكتراث بالمعلم ، يعنى عدم الاكتراث بالعلم ، وعدم اهتمام وجدية فى تلقى هذا العلم .

ـ تثير مادة الاتصال قضية « سوء السلوك الاقتصادى » الذى يحكم العلاقة بين بعض المنتجين والمستهلكين ، وبخاصة ان ميزان المدفوعات المصرى ، وميزانية الدولة ككل تعانى معاناة تامة بسبب استيراد المواد الغذائية من الخارج ، وان مصر ، التى كانت مصدرا رئيسيا للغذاء طوال تاريخها ، اصبحت الآن مستوردة لغذائها من الخارج ، ولا يعنى زيادة عدد السكان ضغطا على الموارد ، كما يقال ، لأن زيادة عدد السكان تكون عادة فى صالح غزارة الانتاج وليس سببا فى تقليله ، اذا ما احسن استخدام الموارد البشرية ، التى لا تقل شأنا عن الموارد الطبيعية ، ولعل الصين والهند واليابان خير مثال على ذلك .

ـ قصور اجهزة الاعلام المصرية فى اداء دورها فى تثقيف الناس

وتوعيتهم ، واجتذابهم للاندماج الاختيارى فى عملية التحول الاجتماعى والاقتصادى والثقافى التى يمر بها المجتمع ككل ٠

ـ ان فى مصر بطالة مقنعة ضخمة ، لا تعمل الا على الورق فقط ، تساندها الدرجات المالية الثابتة فى ميزانية الدولة بغير انتاج يذكر ٠

ـ اشارت مادة الاتصال الى خلل واضح فى الثقافة العامة السائدة فى مصر ، منذ بعض الوقت ، ويكمن هذا الخلل فى أن البعض منا لا يتحرى الدقة فى التعبير عن الأشياء ، باختيار اللفظ المناسب لما يقابله من معنى ، وتكمن خطورة ذلك فى نتيجة مؤداها : أن أفراد المجتمع يخفون عجزهم عن القيام بأعمال تتناسب وكثافة العبء الذى يجب أن يتحملوه فى قيادة عملية التحول والتأثير فيها ، بما يستطيعون قوله من ألفاظ رنانة لا تؤدى الى أى معنى ٠

ـ ان قطاعا لا يستهان به من الشبان والشابات فى مصر ، قد تحول مثلهم الأعلى فى الحياة ، من الصبر والمعاناة فى التعليم حتى يتخرجون جميعا ، ثم يحاولون الحصول على ما يريدون لحياتهم من مقتنيات ، الى نوع من الحياة الخاملة والتى تحاول أن تقتنى كل ما تستطيع ، وبأى وسيلة ، بغض النظر عن الجهد المبذول فى الحصول على ما يريدون ، شباب وشابات متسرعون فى كل شىء ، حتى فى ثقافتهم ، وتذوقهم الفنى ، يرقصون الديسكو ، ويستمعون الى الغناء الغربى الذى حول حياتهم الى صخب وتسرع ، تماما مثل ايقاعه وادائه الفنى ٠

ـ ان تحول المثل الأعلى فى عقول ووجدانات الشباب والشابات فى مصر ، قد أفسد نوع وطبيعة هذه الحياة ، ونتج عن ذلك خلل فى التفكير ، صاحبه اغتراب كامل عن المجتمع ٠ بسبب ما يريدون الحصول عليه ، وما يمكن الحصول عليه ، وبين المطلوب والممكن ، يختل التوازن التقليدى الذى يعتبر تراثا اجتماعيا مصريا خالصا ، هذا التوازن الذى ينحصر فى الفتى والفتاة المتدينين ذوى الارادة الصلبة ، والقدرة الفائقة على التحمل والصبر ، وتأسيس الأسر الناجحة ، التى قوامها التضحية والاخلاص والمودة والقناعة ٠

– ان سيطرة الحضارة الغربية الكاسحة على شعوب العالم ومن ضمنها الشعب المصرى ، استطاعت أن تغير الكثير من المفاهيم وأن تدمر الأبنية الثقافية للناس فى مصر ، وأن بعض المصريين قد أكتفوا من التقدم ، بقشور هذا التقدم وسلبياته ، بدلا من مضامينه الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية .

نتائج كثيرة ومتعددة يمكن استخلاصها على المستوى الاجتماعى والثقافى والاقتصادى من تحليل مضمون مادة الاتصال ، غير ان هناك ملاحظة عامة تتصل بالرؤية النقدية لهذه المادة .

– لماذا ركز الجنى – أو أفعال السحر – وضرب ضربته القوية فى رمز الرفض لكل ما هو غريب على المجتمع المصرى ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا وانسانيا ؟

واذا كان الأمر كذلك ، فهل الثقافات الوافدة التى نجحت فى تغيير قطاع هام من الشباب والشابات فى مصر نحو غير الأفضل – اى الى الأسوأ – تعتبر سحرا علنيا أو غواية – اذا صح هذا التعبير – لا تجد من يقاومها .. أم أن على الدين كما قاوم السحر الأسود ، عليه أن ينتشل أيضا جموع الشباب والشابات من هذه الغواية التى وقعوا فيها .

– ملاحظة أخيرة : كانت هناك آراء متعددة حول انتاج افلام « دراكيولا مصاص الدماء » فى السينما العالمية ، وكان اهم هذه الآراء النقدية يقول : ان هذه الأفلام تلعب دورا رئيسيا فى نشر المسيحية بين الشعوب المتخلفة فى افريقيا وآسيا .. ذلك ان مقاومة مصاص الدماء كانت تنتهى دائما فى لحظات الرعب القصوى ، بأن يتناول احدهم ولو قطعتين من الخشب الجاف ، ويرسم بهما صليبا ، يشهره فى وجه مصاص الدماء ، فيزول شره ، ويتحلل الشبح الذى يمص دماء البشر .

واذا ما أخذنا هذا الرأى فى الاعتبار ، فانه يمكن القول : ان مادة الاتصال التى تم تحليل مضمونها تدخل فى اطار افلام الدعوة الاسلامية ، ويمكن اذا ما استحسن استخدامه وعرضه أن تكون ذات مردود ايجابى على حركة انتشار الاسلام وسط الشعوب المتخلفة فى آسيا وافريقيا .

* * *

ثالثا : مادة الاتصال الثانية

● **فيلم « الانس والجن » .. من تأليف : محمد عثمان ، واخراج : محمد راضى .**

وفى تحليلنا لفيلم الانس والجن (كمادة اتصــال اخرى) نلاحظ هنا أن المســألة اكثر وضوحا ، ذلك أن الجنى هذه المرة لا يريد أن يستولى على منزل قديم ، ويعيــد عن العمران ـ كما حدث فى مادة الاتصال الأولى « التعويذة » ـ لأنه هــذه المرة : يريد أن يستولى على انســية ، احبها ، ويريد أن يتزوجها ..

فمن هى الانســية ، وما طبيعة تفكيرها ، وماذا فعل الذين من حولها ، لحمايتها ؟ وماذا كانت وســائلهم فى ذلك ، هل كانت اللجوء الى السـحر والتفكير الخرافى ، أم اللجوء الى الدين ؟ وماذا حدث ؟

● **البناء الدرامى والاجتماعى للشخصيات :**

تنتمى شخصيات مادة الاتصال الى الطبقة المتوسطة أيضا ، والى الشريحة المثقفة منها ، فالدكتورة « فاطمة » ، الشخصية الرئيسية ، انسانة على درجة عالية من الثقافة العامة والمهنية ، تنتهى الى أسرة تضم أمها واختها ، عملت فى المركز القومى للبحوث ، وحصلت على الدكتوراه وســافرت الى أمريكا ، للقيام بمزيد من الدراســات والبحوث فى بعثة استمرت أربع ســنوات ، وفى رحلة عمرها ، تعرضت لأنواع متعددة من القلق ، ولكنها تغلبت على كل ما واجهها من صــعاب ، وحققت نجاحا باهرا فى كل ما يتصل بعملها ودراســتها ، وقــد كانت انسانة عمليــة منذ البداية : فعندما اعترض خطيبها « جلال خليفة » على ســفرها الى بعثتها الدراسية لمدة أربع ســنوات ، لأنه كان يريد ان يتزوجا ، وتكتفى بما حققتــه فى مصر من نجاح ، لم توافقه على ذلك واصرت على الســفر ، ولكن

خطيبها احترق داخل سيارته ، وهو يسير وراءها مسرعا ، قلقا ، بعد أن تركته وذهبت فى سيارة اجرة (تاكسى) .

وكانت هذه الحادثة مصدر قلق بالغ لها ، فقد أعتبرت نفسها مسئولة عن قتله ، وظلت « الكوابيس » تلاحقها فى نومها ، وصورة خطيبها لا تفارقها ابدا ، وكانت ذكرياتها معه والمسجلة فى « البوم » للصور هى المجال الوحيد لاستعادة الأحلام والآمال ، والأوقات السعيدة الضائعة ، وفى كل وقت كانت تشعر فيه بالضيق ، كانت صورها مع خطيبها هى مرفأ ذكرياتها وبخاصة فى الأوقات التى تخلو فيها الى نفسها .

شخصية مثقفة ، ولكنها على درجة عالية من النقاء النفسى . وقد خلفت هذه الحادثة وراءها حساسية مفرطة فى داخلها .. ولكنها لم تترك لهمومها فرصة تعويق مسيرة حياتها العملية والعلمية ، حملت مأساتها مع « جلال » فى أعماقها ، ورحلت لكى تتزود بالعلم ، لتواصل نجاحها ، واستطاعت أن تفصل بجدارة بين الهموم والآمال ، فحققت آمالها وطموحاتها ، بشكل جعلها محل تقدير وعناية زملائها ومجتمعها ، وهى الى جانب ذلك كله ، شخصية تتمتع بقدر غير قليل من الأصالة والانتماء .

لقد ذهبت الى الخارج ، وحصلت على أعلى الدرجات العلمية ، ولكن حين عودتها الى منزلها مع أمها واختها سألت أمها عن « عم آدم » ، جارهم الطيب ، المتدين ، الذى كان يمثل الحب والمهابة والرضا والقناعة ، وهو دائما يطلق البخور فى المنزل ، كعادة شعبية قديمة ، وهذا ما جعل فاطمة تقول بعد عوتها الى المنزل : « الله .. الريحة حلوة زى ما سيبتها » الأم والأخت والخال ، وعبق المنزل القديم ، وعم آدم الجار الطيب ، كلها أشياء احبتها فاطمة ، ولم تستطع اربع سنوات فى مجتمع مختلف ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا أن تؤثر فى بنائها الانسانى ولا فى أنماط سلوكها التقليدى المتوارث الذى يتميز بالتواضع ومحبة الناس والانتماء اليهم .

وفى يوم عودتها الى الوطن ، تحدثت الصحف عنها وعن انجازاتها العلمية التى حققتها ، مما دفع الوزير المسئول الى تحديد موعد لها معه ، لكى يعرض عليها تولى منصب كبير ، ولكنها رفضت بلباقة وفضلت أن تستمر فى عملها وفى بحوثها ، لكى تستطيع أن تكون اكثر فائدة لمجتمعها ..

كانت فاطمة تعرف طريقها جيدا ، فلم تهتم بالمنصب الحكومى الكبير ، على الرغم مما سيحققه لها هذا المنصب من شهرة وسلطة ونفوذ ، وفضلت على ذلك الاستمرار والمثابرة ومعاناة مشقة البحوث والدراسات ، ووضع خبرتها فى خدمة المجتمع الذى أحبته ، وما زالت تحبه .

شخصية متماسكة ، قوية ، وقادرة على اتخاذ القرارات الصعبة بدون أن يخلف ذلك عندها أية أحاسيس بالندم ، وهى دائما مبتسمة ، بشوشة ، متواضعة بغير تعالم ، متألقة فى هدوء ، واثقة من قدراتها ، مؤمنة بأن بالله قد وهبها كل ذلك ، لأنها تحب كل الناس ، وتقدر فيهم طيبتهم ومودتهم .

وعندما تعرضت لأزمتها مع الجنى ، لم تحاول استجداء الشفقة أو العطف ، ولكنها أرادت أن تثبت لهم أنها تقول الحقيقة . وفى قمة مأساتها العظمى ، لجأت الى العلم (الطبيب) ورفضت الدهاب الى السحرة والمشعوذين ، وعندما أرغمتها الظروف المعقدة على ذلك ، رفضتها من داخلها ، وتركت كل شىء ، وهربت الى المستشفى ، بحثا عن الخلاص . حتى ولو كان بالانتحار .

* * *

● الجنى « جلال سلطان » :

والجنى « جلال » هو كما يقول عنه عم ادريس : « اسمه الحقيقى خباص وهو جنى من العالم السفلى من عائلة شيتان ، من اكبر عائلات الجان » وقد قدم هذا الجنى نفسه الى الدكتورة فاطمة ، وهم فى

الطائرة ، اثناء العودة الى الوطن ، وعلى ارض المطار ، على أن اسمه جلال سلطان ، ويعمل خبيرا سياحيا وانه مصرى وان كانت امه امريكية .

وعلى الرغم من انه جنى ، الا انه تصرف كانسان ، بل وكانسان عاقل ومهذب أيضا .. المهم ان هذا الجنى ، أحب الدكتورة فاطمة ، وقرر الزواج بها ، رغم ارادتها . ويلاحظ ان مجرد تقديم نفسه على أن اسمه جلال ، انما يريد أن يتشبه ، ولو من ناحية الاسم ، بأسم خطيبها الذى أحبته ، ومات محترقا فى سيارته وكان اسمه جلال أيضا ، هو نوع من ايقاظ المشاعر القديمة فى سبيل اقامة علاقة جديدة ، حتى ولو كانت علاقة لا يمكن فهمها بين جنى وانسية .

لقد أحب هذا الجنى فاطمة فعلا ، لأنه كان يريد أن يتزوجها بارادتها وليس بالقهر الذى يملك الوسائل الفعالة لفرضه عليها .. وكان يظهر لها فى أى وقت يشاء ، مخترقا الجدران والأبواب والنوافذ .

« فالجن لا تحجبه الحواجز ، وهو يخترق الجبال والبيوت ويسير بسرعة تفوق الانسان ، لأنه شىء يختلف تماما عنه »(١٨) .

وهذا الجنى الذى تسمى باسم جلال ، جنى شرير فى بعض جوانبه ، وغير شرير فى جوانب أخرى . وجوانبه الشريرة تتمثل فى قوله عن نفسه : « انا صاحب اكبر رقم قياسى فى عدد الذين انتحروا من الانس على يدى » ولأنه حاول أيضا اختراق الحواجز الطبيعية ، فظهر للانس مهما كانت دوافعه من وراء ذلك . مستخدما قدراته الجهنمية فى وضع فاطمة فى تناقض حاد مع نفسها ومع المحيطين بها .

أما جوانبه غير الشريرة ، فتأتى من مواقفه معها ، وخاصة بعد أن نصحته أمه بأن يحصل على فاطمة بأى ثمن : « اخطفها ، اقتلها ،

---

(١٨) بدر الدين عبد الله الشبلى : غرائب الجن والشياطين كما يصورها القرآن والسنة ، تحقيق وتعليق ابراهيم محمد الجمل ـ الطبعة الثانية ـ الرياض ، ١٤٠٦ هـ ، ص ٢٥ .

احرقها ، اسخطها » ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك على الرغم من قدرته عليه ، بل انه عندما علم أن فاطمة قررت ان تتخلص من حياتها بالانتحار ، هرب من سجنه ، وانقذها من الموت ، وفى نهاية مادة الاتصال ، كان هذا الجنى قد قرر أن يترك فاطمة لكى تعيش حياتها كما تريد ، بل انه تمنى لها السعادة ، على الرغم من أن ذلك يعنى هلاكه فى عالم الجان !!

فالحب ممنوع فى عالم الجان ، وفشل احدهم فى الحصول على ما يريد من الانس ـ هو سبة فى جبينهم ، جزاؤها الهلاك على طريقتهم ..

وقد أراد الجنى أن يستثير فى فاطمة نوازع متعددة لكى تحبه ، فأخبرها ، أنه عندما يتزوجها سيسخر نفسه فى خدمتها : « كل ما تطلبيه وتشتهيه فى هذا العالم ، يكون فى غمضة عين تحت تصرفك » . ولكنه كان يخاطب شخصية تتحلى بكل الفضائل ، وأهمها القناعة ، ومن ثم فقد فشل هذا العرض الذى كان من الممكن أن يسيطر به على غيرها ، ممن يريدون الحصول على كل شىء بغير مجهود يذكر .

***

● الدكتور « اسامة » :

هو زميل فاطمة فى المركز القومى للبحوث وكان مشرفا أيضا على رسالتها ، وكان يحب فاطمة حبا صامتا ، ولكنه عندما علم بأنها مخطوبة لغيره ، احترم رغبتها ، واستمر صامتا هادئا ، وعند عودتها الى أرض الوطن كان هو وراء الحملة الصحفية التى رحبت بعودتها ، وكان سعيدا برفضها للمنصب الحكومى الكبير الذى عرضه الوزير المسئول عليها ، شخصيته تتمتع ببناء عقلى وانسانى قوى ، وكان قوى الملاحظة فعندما زار الجنى فاطمة فى مكان عملها ورآه الدكتور أسامة ، سأل فاطمة عنه وضمن ما قاله : « انه انسان غريب ، ويبدو انه يضع مكياجا ، فلحم وجهه اصفر أكثر مما ينبغى ، وعينيه تحملان بريقا غريبا .. » وكان هذا الاكتشاف المتقدم لأسامة ، يسبق ملاحظة فاطمة أن جلال هذا جنى أو انسى .

لقد أحب أسـامة فاطمة بتجرد وإخلاص ، وبعد أن ادرك المـأساة التى تعيش فيها ، وقف الى جانبها بكل ما يسـتطيع من قوة ، وهـو شخص يتمتع بعقليـة علميـة حديثة وعصرية ، ولكنه لا ينكر وجـود الجن ، لأنها مذكورة فى القرآن الكريم ، وقـد أثبت فى كل تصرفاته وسـلوكياته فى مادة الاتصـال أن الدين لا يتعارض مع العلم .. وهـو الذى قرأ القرآن ليقاوم الجنى فى لحظات المواجهة الأخيرة .

لقد كان موقفه من المسـألة كلها أنه ـ وهو الرجل المثقف ـ يريد اثباتا أو دليلا عمليـا بأن الشـخص الذى رآه ، جنى وليس انسى ، وهو ما جرد الجنى فاطمة منه على طول عرض مادة الاتصال .

وعندما ظهر له الجنى ، وعرض عليـه أن يتفاهما حـول فاطمـة رفض رفضـا قاطعـا وكان مما قال له : « نتفق على ايه ، احنا مختلفين أنا وانت الى يوم القيامة » .. شىء آخر : ان اسامة لم يهتز ، ولم يطلب السـلامة لنفسـه ، خوفا من الجنى ، لأنه ظل صامدا امامه ، بغير خوف ، ولا وجـل .

* * *

● الأم والأخت :

وشـخصية الأم فى مادة الاتصـال ، أم مصرية عادية ، أعطت لأسرتها عمرها بكل اخلاص ، بعـد ان توفى زوجها ، وكانت النتيجة ، بنتين متفوقتين فى الدراسـة ومجالات الحياة الأخرى ، وهى وان كانت تؤمن بوجود الجن ، الا أنها تختلف مع الجميع فى أسـاليب مقاومتهم وذلك لايمانها بكرامات الأسـياد ، وعم ادريس المخاوى لهؤلاء الأسياد ، أى أنها تؤمن بالشعوذة والخرافات والسـحر الشـعبى وطقوس الزار وخلافه . دائمة الصـلاة فى مواقيتها المحددة ، ودائمة الدعاء لبنـاتها بالستر ، والتوفيق فى حياتهم .

أما الأخت « نادية » ، فانها أيضـا انسـانة متعلمـة ، تخرجت من الجامعة ، وعملت فى وظيفة ادارية فى التليفزيون ، وتسعى للالتحاق

بالعمل كمذيعة حتى تخرج من رتابة العمل الادارى ، وقـد تزوجت ولكن احـد المحتالين أخـذ من زوجها ثمن الشـقة وهرب ، وكانت النتيجة انها وهى متزوجة ، تجلس وتعيش مع والدتها ، وزوجها يعيش مـع أهله .. ونادية شخصية بشوشـة ، لا تصـدق مسـألة ظهور الجان هذه ، وعندما اخبرتها والدتها أن الجان مذكورين فى القرآن وموجودين « تحت الأرض » ردت عليها : « تحت الأرض مفيش فيه حاجة الا نار قايدة زى جهنم » فردت الأم : « ما هم الجن يا بنتى من أهل النار » .

وتحب نادية أختها كثيرا ، وهى على استعداد دائما لكى تفديها بحياتها ، ولكنها أيضـا تريد أن ترى ما تتحدث عنـه وتتأكد أنه جنى وليس انسى ، قلبها مع أختها ، وعقلها يرفض المسـألة كلها .. حتى ولو صفعها الجنى على وجهها وهى تتحداه بغير أن تراه .

والدكتور « محسن » طبيب الأمراض النفسـية والعصبية يتعاطف مع فاطمة ، ولكنه لا يستطيع أيضـا أن يصـدق أن الجان موجود ، ويخرج للناس فى هذا الزمان ، ويريد أن يتزوج منهم ..

والخال .. رجل الأعمال الناجح والثرى ، كان يخاف من مجرد ذكر اسم الجنى أمامه ، ويرتعـد ، ويتعمد دائما أن يتحدث ببعض الكلمـات الأجنبية فى حديثه برغم أنه لا يعرف لغة أجنبية .

أما « ادريس » المشعوذ ، فهو جزء من التراث الشـعبى فى السحر ، وطقوسـه وأهدافه ، يدعى العلم ، ويدعى أيضـا الاتصـال بقوى خفية (الأسـياد) ، ويذهب اليـه الناس اقتناعا بكراماته ، وقدرته على مقاومة الأمراض والجان وكل شىء .

أما شخصية عم آدم ، فهو رجل طيب ، متدين وملتحى ، يسـكن بجوار العائلة فى نفس البيت ، وكانت علاقته بهم علاقة ود ومحبـة ، بعد أن توفى والدهم ، وكانوا جميعا يحبونه وبخاصة ـ فاطمة ونادية ـ انه بالنسـبة لهم جـزء من تراث محبب ، لا يريدون أن يفقدوه تماما كوالدهم .. ووقف الى جانب فاطمة فى محنتها .

وعندما سالت فاطمة ـ فى مادة الاتصال ـ عم آدم : « هو حقيقى فيه جن » ؟ رد عليها قائلا : يقول الله تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »**(*) صدق الله العظيم · ثم يقول لفاطمة : « شوفى يا بنتى ·· كل اللى تعرفيه فى القرآن اقرايه ، وكل كلمة فى القرآن هتحفظك من الشياطين ، ومن الانس كمان » ·

ويمكن حصر الصراع ، الذى دار فى مادة الاتصال بين عنصرين رئيسيين ، هما الدين والسحر ، ذلك أن فاطمة والمحيطين بها ، ارادوا حمايتها من الجنى ، الذى اراد ان يتزوجها ، وفى اطار هذا الصراع دارت احداث مادة الاتصال بكل عناصر الاثارة الكامنة فيها · بين السحر والدين ·

(أ) السحر :

لا يمكن القول ان ما فعله الجنى جلال مع الدكتورة فاطمة ، عملا سحريا ، ذلك انه عندما ظهر لها فى صورة مرشد سياحى ، تصرف بمنتهى العقل والحكمة ، لدرجة انها لم تشك فى البداية انه جنى ·· فقد وضع احدى حقائبه ضمن حقائبها ، ومن الطبيعى ان يلتقيا لكى يستعيد حقيبته ، ولكنها كانت عندما تراه ، وتريد ان تتحدث اليه ، يختفى ، وعندما قدم اعتذاره لها عن مسألة الحقيبة وأنه سبب لها ازعاجا يريد ان يعتذر عنه ، دعاها الى حفلة عيد ميلاده ، لأن امه تريد ان تراها ، وتعتذر لها بنفسها عما حدث ، كل هذا تم فى تسلسل منطقى ، وفى اطار تصرفات بشر عاديين · ولكن ما لفت انتباه فاطمة انه كان يدخل ويخرج من البيت فى سهولة ويسر ، لدرجة ظنت معها فى البداية أنه مجرد « لص » ، ولكنه عندما عزمها فى منزله وقابلت امه ، وجدت منزلا فخما ، واهلا ومدعوين كثيرين يحتفلون ويرقصون ويغنون ، ولم تلاحظ انه فتح الباب الحديدى الضخم للمنزل ، بنظرة واحدة من عينيه ، المهم انها عندما عادت الى المنزل بصحبة اسامة ، وجدته منزلا قديما ومهجورا ، يخاف الناس ان يقتربوا منه ، لأنه على حد قول حارسه :

(*) الذاريات : ٥٦

مسكون بالعفاريت ، وان لا احد باسم « جلال سلطان » فى هذا المنزل ولا فى هـذه الناحية على الاطلاق ..

« والمنازل القديمة ، والمهجورة ، المسكونة بالأرواح ، تراث تحمله الذاكرة الشعبية ، بكل ما فيها من أوهام وخيال » .

ولعل ما يمكن تسميته سـحرا فى العلاقة بين الجنى وفاطمة هـو أنه عنـدما اراد ان يخيفها ، كان يحطم بنظرة من عينيه زجاج نوافـذ غرفتها ، وعندما تصيح مسـتنجدة بامها واختها لا يجدون شـيئا قـد تكسر أو تحطم ، بل انه أحرق بنظرة من عينيه سـتائر وفراش غرفتها ، وعندما اسـتغاثت ايضـا لم يجدوا شـيئا قد حدث ، نجح الجنى فى استخدام قدراته الجهنمية والاعيبه السـحرية ـ اذا صح هذا التعبير ـ فى وضـع فاطمة أمام تناقض حاد ، بين ما تعرفه ، وبين ما لا يصـدقه احـد من حولها .

وذلك فى اطار خطته لارغامها على الزواج منه .

ولكن ما يمكن أن نسـميه سـحرا ـ ونحن مطمئنون ـ هو ما حدث بين فاطمة وامها ، وعم ادريس السـاحر ، أو المشعوذ .

حيث لم تجـد فى حالة يأسـها العظمى الا اللجوء الى عم ادريس الذى رفضته قبـل ذلك بكل ما ملكت من قوة ، فذهبت اليـه مع والدتها فى قبوه الذى يشـبه الكهف المليء بالبخور والأدعيـة ، وبعد الأحاديث التقليدية المعروفة فى مثل هـذه المواقف ، بدأ عم ادريس يصف لهـا العلاج ، فكان الزار أول الطريق ، وكانت الرقى والتعاويذ وأوراق يكتبها عم ادريس ، لكى تحرقها مع البخور ، وتخطو فوقها بخطوات محددة العدد والوقت ، وكلما كانت تسـير بعض الخطوات ، كانت تشـعر بالارهاق والاجهاد وتقول وهى تبكى : « انا عقلى رافض عم ادريس ، واللى بيقولوا عم ادريس .. تعبت .. تعبت » وتستلقى مجهدة من الاعيـاء .

لقد قبلت الزار ، وذبح الديك المزين ، وتلويث وجهها بدمائه الى آخر الطقوس التى حـددها عم ادريس ، ومع هذا لا فائدة .. ماذا تفعل ؟

وكان الاقتراح الأخير لعم ادريس : ان تذهب فاطمة الى المقابر وان تدور حـول جثة ميت حديثة الدفن سـبع مرات ، أى انه لا بد لها من الدخول فى ظلمة المقبرة ، وأن تفعل ذلك وحدها !!

وعلى ضـوء الشموع ، ذهبوا جميعـا الى المقابر ، وعندما دخلت الى المقبرة المظلمة فى هـداة الليل ، صرخت بكل ما وسعها الجهد ، وانهارت تماما ، وتركتهم جميعا فى المقابر وهرولت ثم اخذت تجرى وتلهث بكل ما تبقى من عزيمتها ، متوجهة الى عيادة الطبيب النفسى ، ولم تفتح فمها بكلمة واحـدة ، مما جعـل الطبيب يعتقـد انها فاقـدة للنطـق ٠

لعب الجنى ، والمشعوذ ، دورين مختلفين فى الأسلوب والهدف ، ولكنهما كانا متفقين ـ من حيث لا يشعران ـ على تحطيم الدكتورة فاطمة ، تلك الانسـانة القوية المتماسـكة ، التى حطماها معا ٠

ومن المـلاحظ ان معظم عناصر السـحر الشعبى قـد تكاملت ، فى محاولة تخليص فاطمة من هذا الجنى ، ومع ذلك لم يذهب عنها ، ولم يتركها ، وزاده ذلك اصرارا على الزواج منها ٠

لم يستطع الزار ، ولا الأوراق المكتوبة التى يتم حرقها ، ولا اللف حول جثة حديثة الدفن ، ان تنقذها من ازمتها ٠٠ فما الحل ؟

(ب) الدين :

كانت أزمة فاطمة الحقيقية : ان لا احـد يريد تصـديق أن هنـاك جنى يريد الزواج منها ، ويطاردها وأنه توعدها : ان لم تتزوجه ، انه « سيمسخها مسخا دميما » لدرجة ان اسـامة ، وهـو اقرب النـاس اليها قال لها عندما اخبرته باسم الجنى : « واحد ابن سلطان ، وواحد ابن خليفة ٠٠ ما هذا » ؟ ثم قال لها بعد ذلك : مشكلتك يافاطمة هى خوفك من الزواج ٠ واحسـاسك انك كنتى السبب فى موت خطيبـك الأول محترقا ، ومن أجل هـذا فالخوف ، هو خوفك انت وحدك » (وهـذا أيضـا رأى الطبيب النفسى) : « خـوفك هـو العفريت بتاعك » ٠

الجميع يعاملونها على انها مجرد مريضه نفسـية ، تتخيل أوهاما لا يمكن ان تحدث على أرض الواقع ، حتى عنـدما سجلت حديثا مع الجنى ، وارادت أن يسـمعوه معها ، اكتشفت أن حديث الجنى ، الذى سمعته قبل ذلك بنفسها ، قد تم مسـحه من على شريط التسجيل .

وبعضهم بدأ يفكر بطريقة مختلفة : ايمكن أن يكون هذا الجنى ، هو « عفريت » خطيبها جـلال الذى مات محترقا ، واليس كل من مات مقتولا أو محترقا ، « يطلع » له عفريت !!؟

اشـياء كثيرة ومتناقضة ، حطمتها ، وجعلتها تفكر فى الانتحار ، فلا الطب النفسى وصـل الى نتيجة ـ وهى قـد لجأت اليه ـ ولا السحر والشعوذة ، وذهابها الى المقابر ، وسـط نباح الكلاب وظلمة الليل ، وصل الى نتيجة .. فما العمل ؟ .. لا سـبيل أمامها سوى التخلص من حياتها .. فتستريح ، وتريح كل من حولها !! وبينما هى كذلك فى غرفتها فى المستشفى ، وكان الجنى قـد نهاها عن الانتحار ، واعادهـــا الى غرفتها هناك ، يدخل اسـامة ويواجه الجنى ، وجها لوجه : وهى مغمى عليها .. وفى هذه اللحظة ، قرأ أسامة : « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم » ... وكررها عدة مرات ..

ثم تلا قوله تعالى : « فقاتلوا أولياء الشيطان ، ان كيد الشيطان كان ضعيفا »(١٩) .

واقتربت المسافة بين الجنى وأسامة الذى استمر فى تلاوة قوله تعالى :

بسم الله الرحمن الرحيم : « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »(٢٠) .

بسم اللم الرحمن الرحيم : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين »(٢١) .

---

(١٩) النساء : ٧٦ .
(٢٠) الأعراف : ٢٠١ .
(٢١) الحجر : ٤٢ .

بسم الله الرحمن الرحيم : **« وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين • واعوذ بك رب ان يحضرون »(٢٢) •**

بسم الله الرحمن الرحيم : **« قال فاخرج منها فانك رجيم • وان عليك لعنتى الى يوم الدين »(٢٣)** • عنـــد ذلك شـــبت نار ضـــخمة •• التهمت الجنى جـلال واكمل الدكتور اسـامة : صدق الله العظيم •

❋ ❋ ❋

وبعد قليــل من الوقت دخلت أمها واختها وعم آدم ، ورأوا بقايا ما حدث ، **فاسترسلوا جميعا فى قراءة :**

« قل اعـوذ برب النـاس • ملك الناس • اله النـاس • من شر الوســـواس الخناس • الذى يوسـوس فى صـدور الناس • من الجنـة والناس »(٢٤) •

❋ ❋ ❋

كان الحل الدينى هو الذى أنقـذ الدكتورة فاطمة من محنتها ، حسب ما جاء فى نهاية عرض مادة الاتصال •

حيث عادت الى طبيعتها الأولى ، وبدات فى ممارسـة حياتها العادية ، وتزوجت من أسـامة ، وبدأ فصل جديد فى حياة بلا سحر ، وبلا جن ، ولكن بزيادة التمسك بالدين لكى يعصمهم ويحميهم من كل المكاره والشرور التى يمكن أن تلحق بهم •

❋ ❋ ❋

● **النتائج المستخلصة :**

ـ ان الدين هو الســـند والعاصـــم الوحيـد للمؤمنين به من كل ما يواجههم من افعــال سحرية ، سواء أكانت هــذه الأفعال من صنع البشر او من صنع الجان •

---

(٢٢) المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ •

(٢٣) سورة ص : ٧٧ ، ٧٨ •

(٢٤) سورة الناس •

ـ ان الجن يمكن ان يظهروا للبشر فى أية صورة يشاؤون لانهم يخترقون الحواجز ويسيرون بسرعة تفوق الانسان ٠

ـ هناك اعتقاد سائد بان المنازل القديمة والمهجورة والبعيدة نسبيا عن العمران والكثافة السكانية تسكنها الجان ٠

ـ ان افعال السحر ، وظهور الجن ـ لم تعد تظهر وتتم ممارستها على مستوى عامة الناس فقط ، أو فى المناطق الريفية ، بل يتم ممارستها الآن فى المناطق الحضرية وبين أعلى المستويات الثقافية ٠

ـ ان المثقفين والمتعلمين ، وخلاصة العقول المصرية وأرقاها مستعدون فى حالة يأسهم ، ان يتخلوا عن كل ما درسوه وتعلموه ، لكى يسلموا انفسهم الى اعمال السحر الشعبى والمشعوذين ، كطريق للخلاص مما يعانون ٠

ـ ان المهنيين وخاصة قطاع الأطباء النوابغ لا يميلون كثيرا الى المناصب الادارية مهما كانت أهميتها وقوة السلطة فيها ٠ بقدر ما يميلون الى ممارسة مهنتهم والاستمرار فى بحوثهم التى تثرى الحياة حولهم ٠

ـ بعض رجال الأعمال الناجحين ، لا يرون فى الحضارة أو كونهم متحضرين الا التحدث ببعض الكلمات الانجليزية فى أحاديثهم العادية ـ على الرغم من انهم يجهلون هذه اللغة الأجنبية ٠

ـ ان السهرات العائلية لبعض الأسر المصرية ، لم تعد فى الاستماع الى الغناء والطرب المصرى أو التمتع بفن المسرح كما كان سائدا من قبل ، لكنها تتجه الآن الى حفلات الديسكو والمحلات التى تعرض الفن الأجنبى الصاخب ٠

ـ ان السحر والجن فى اختيارهم لخلاصة العقول المصرية لايذائها يعنى ضمن ما يعنيه : أن هناك قوى خفيه غير السحر والجن تحاول عرقلة المجتمع المصرى ونموه الطبيعى من اتجاهات التحديث والتقدم ٠٠٠ بحيث تكون مصر بدلا من كونها حقلا تزدهر فيه العقول وتتوهج لخدمة المجتمع ، مقبرة للمواهب !!

ـ ان الارادة الانسانية مهما كانت مدربة على الصمود ومسلحة بآخر ما وصل اليه العلم والتقنية المعاصرة لا تستطيع ان تستمر فى صمودها ، طالما كان المناخ الاجتماعى السائد حولها مناخا متخلفا ، وغير مدرب على الصمود وغير متسلح بالعلوم الحديثة ٠

ـ ان التفكير العقلى والعلمى فى المجتمع المصرى ما زال قاصرا وهشا ، وان التفكير السحرى ، ما زال كامنا فى العقول وسرعان ما يتغلب على غيره من مناهج التفكير ٠

ـ ان التفكير السحرى الذى يعبر عن عدم تقدير حجم الواقع والتعامل معه لاستنباط الحلول العلمية له ما زال سائدا وأنه نتيجة للتراث الثقافى الجمعى الذى يؤثر فى عملية التنشئة الاجتماعية ، ما زال يتمتع بقدرة فائقة على السيطرة فى أنماط التفكير العلمى المكتسب نتيجة الدراسات المكثفة سواء فى داخل مصر او خارجها ٠

❋ ❋ ❋

● نتائج عامة لمادتى الاتصال :

ان كون الجن يفضلون المنازل القديمة والبعيدة نسبيا عن العمران جعل الأفراد نتيجة لما ترسب فى عقولهم من تراث ثقافى شعبى يفضلون أن يعيشوا فى أماكن مزدحمة وذلك كان له تأثيره على حركة البناء والعمران داخل المجتمع المصرى ٠

ـ التكدس العمرانى الذى نتج عن هذا الاعتقاد ادى الى ازدحام وسائل المواصلات وازدياد الكثافة السكانية فى بعض المناطق ٠

ـ ان الشعب المصرى والمثقفين المصريين الذين يمثلون ضميره الحى والمتوهج غير قادر حتى الآن على تنقية تراثه الحضارى والشعبى بكل ما علق به من خرافات واساطير يتلقنها الأطفال فى بداية تنشئتهم الاجتماعية من خلال الحكايات الشعبية التى تم تحريفها لكى تكون سببا مباشرا بعد ذلك لاعاقة التفكير العقلى والعلمى بالنسبة للأفراد ٠

ـ ان الشريحة الاجتماعية التى استفادت من سنوات الانفتاح

الاقتصادى وحققت ثروات طائلة هى قوى غير متعلمة ولا تتميز بأى نوع من أنواع التفكير العلمى وبهذا انفصلت الثروة عن الثقافة ، ولازم الثراء الجهل ، وهذا يعوق عملية التقدم بشكل عام .

وفى النهاية .. يمكننا أن نقول : ان هذه الدراسة قد حققت الأهداف المرجوة منها ، وهى :

أن معالجتها لظاهرة السحر كانت معالجة موضوعية اذ أنها أظهرت مساوىء اللجوء الى السحرة والمشعوذين وبينت أن الوسيلة الوحيدة للتغلب على مثل هذه المصاعب يتم عن طريق اللجوء الى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

كما أن ظاهرة السحر لا تقتصر على فئة معينة من أفراد المجتمع ، بل انها تشمل جميع الفئات الاجتماعية سواء أكانت حضرية أم ريفية ، متعلمين كانوا أو أميين .

كما أن الايمان الدينى المرتبط بالتفكير العقلى المستنير هو خير عاصم للانسان من الوقوع فى الزلل ، وهذا الايمان عندما يتعمق فى النفس البشرية يحميها من كل الشرور والآثام ، ومن مختلف أنواع السحر والشعوذة التى تعمل على تدمير الانسان واستعباده ، فالذى يبتعد عن دينه يضل عن الطريق السليم والمستقيم . وتتلقفه الشرور والآثام ، وكل أنواع الكوارث ، ومن بينها السحر .. فالتقرب الى الله ، ابتعاد عن السحر ، والعكس صحيح .

* * *

خاتمة

لقد حاولت بكتابى هذا أن اطرق باب السحر والدين وأثرهما على حياتنا الاجتماعية •

وأرجو أن تكون الدراسة بجانبيها النظرى والعملى ، قد حققت اهدافها ، والواقع أن انتشار السحر والأعمال السحرية ، يعنى ضمن ما يعنية ، أن حالة من حالات العجز والخوف ، ما زالت لها تأثيرها فى الأنماط المختلفة للحياة الاجتماعية ، نتيجة للمصاعب المتزايدة التى تواجهها مجتمعات العالم الثالث بصفة عامة ، والمجتمع المصرى معها ومنها !!

ولن نكون مخطئين اذا قلنا ان مصر وان كانت جزءا من العالم الثالث اقتصاديا ، فانها غير ذلك من الناحية الحضارية ، فثقافتنا ثقافة ثرية ومتغيرة دوما فى ظواهرها نتيجة للتغيرات الاجتماعية التى تحدث تأثيرات على البنية الاجتماعية للمجتمع ، ويفرض علينا ذلك دراسة وتحليل وتفسير هذه الظواهر ، لكى نكون اقدر على فهمها وتطويرها واثراء مضامينها •

واملى كبير فى ان يثير كتابى هذا ، مزيدا من التساؤلات والاهتمامات التى تدفع باحثين اجتماعيين آخرين الى مزيد من الدراسات حول الدين والسحر ، والدين وظواهر اجتماعية أخرى •

ولعل ما يحدث الآن فى جميع أرجاء العالم الاسلامى من « صحوة اسلامية » يكون دافعا لنا لتقديم المزيد من هذه الدراسات ، فدراسة هذه الصحوة ، وجوانبها الاجتماعية المختلفة ، سيساعد المجتمع فى مصر والعالم الاسلامى على وضع الدراسات « التنبؤية » للمسارات المتعددة فى المجتمعات المختلفة ، ونكون بذلك شركاء فى صناعة الحاضر والمستقبل ، وغير بعيدين عنه كاجتماعيين ••

* * *

اهم المراجـــع

أولا ـ القرآن الكريم .

ثانيا ـ المراجع العربيـــة :

١ ـ ابراهيم ، نبيلة : الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٩ م .

٢ ـ ابن كثير : مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ـ المجلد الأول ـ الطبعة الثالثـــة ـ بيروت ـ دار القرآن الكريم ، ١٣٩٩ هـ .

٣ ـ أبو زيد ، أحمد : البناء الاجتماعى . مدخل لدراسة المجتمع (الأنســاق) ، جـ ٢ ، دار الكتاب العربى ، ١٩٦٧ م .

٤ ـ ابو طالب ، صوفى : تاريخ النظم الاجتماعية والقانونية ، القاهرة ، ١٩٥٤ م .

٥ ـ أسـعد ، يوسف ميخائيل : معتقدات وخرافات ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٨٢ م .

٦ ـ اسماعيل ، قبارى محمد : اميل دوركايم .. مؤسس علم الاجتماع نظريا وتطبيقيا ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ١٩٧٦ م .

٧ ـ الترمذى : الجامع الصحيح للامام الحافظ أبى عيسى محمد ابن عيسى ، اشرف على طبعه وراجع أصـوله : عبد الرحمن محمد عثمان ، بيروت ، دار الفكر ـ الطبعة الثانية ، ١٩٧٤ م .

٨ ـ الحيمضى ، عبد الرحمن : خوارق العادات فى القرآن الكريم ، الطبعة الأولى ـ المملكة العربية السعودية ـ عكاظ ، ١٩٨٢ م .

٩ ـ الجمل ، ابراهيم محمد : دراسة فى ظلال القصص القرآنى والسيرة النبوية ـ القاهرة ـ مكتبة القرآن ، ١٩٨٢ م .

١٠ ـ الجميلى ، السيد : السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق ـ دمشق ـ بدون تاريخ ٠

١١ ـ الجوزية ، ابن قيم : الطب النبوى ـ اعداد المكتب العالمى للبحوث ، اشراف عبد المنعم العانى ـ بيروت ، ١٩٨٣ م ٠

١٢ ـ الجوهرى ، عبد الهادى : معجم علم الاجتماع ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة الشرق ، ١٩٨٠ م ٠

١٣ ـ الجوهرى ، محمد : علم الفلكلور ـ الجزء الأول ، الأسس النظرية والمنهجية ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١ م ٠

١٤ ـ الخشاب ، أحمد : الاجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م

١٥ ـ الخشاب ، احمد : دراسات فى النظم الاجتماعية ، المجتمعات المتخلفة والنظم الدينية ، القاهرة ، ١٩٦٤ م ٠

١٦ ـ الخشاب ، سامية : علم الاجتماع الاسلامى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٥ م ٠

١٧ ـ الخشاب ، مصطفى : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية ـ القاهرة ـ لجنة البيان العربى ، ١٩٥٣ م ٠

١٨ ـ الخشاب ، مصطفى : علم الاجتماع ومدارسه ـ الجزء الثانى ، القاهرة ، لجنة البيان العربى ، ١٩٦٢ م ٠

١٩ ـ الدمشقى ، أبى عبد الله محمد شمس الدين الذهبى : الكبائر ، نقحه وراجعه محمد الأنور احمد البلتاجى ـ القاهرة ـ دار التراث العربى ، ١٩٨٢ م ٠

٢٠ ـ الساعاتى ، سامية : السحر والمجتمع ـ الطبعة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ م ٠

٢١ ـ الشبلى ، بدر الدين عبد الله : غرائب الجن والشياطين

كما يصورها القرآن والسنة ـ تحقيق وتعليق ابراهيم محمد الجمل ـ الطبعة الثانية ـ الرياض ، ١٤٠٦ هـ (١٩٨٦ م) ٠

٢٢ ـ الأشقر ، عمر سليمان : علم الجن والشياطين ـ القاهرة ـ دار الكتب السلفية ، ١٩٨٥ م ٠

٢٣ ـ الشنتاوى ، أحمد : فنون السحر ـ القاهرة ـ دار المعارف ، ١٩٥٧ م ٠

٢٤ ـ الشوكانى ، محمد بن على بن محمد : فتح القدير ـ الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير ـ الجزء الأول ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ، ١٩٧٣ م ٠

٢٥ ـ الطنطاوى ، على : تعريف عام بدين الاسلام ـ الجزء الأول فى العقيدة ـ بيروت ، ١٩٧٨ م ٠

٢٦ ـ العربى ، فوزى رضوان ، مصطفى ، فاروق أحمد : دراسات فى الانثربولوجيا التطبيقية ـ مدينة العريش ـ الاسكندرية ـ الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٨٢ م ٠

٢٧ ـ العقاد ، عباس محمود : ابليس ـ بيروت ـ منشورات المكتبة العصرية ، بدون تاريخ ٠

٢٨ ـ الفوال ، صلاح مصطفى : علم الاجتماع البدوى ـ القاهرة ـ دار النهضة العربية ، ١٩٧٤ م ٠

٢٩ ـ القرضاوى ، يوسف : الحلال والحرام فى الاسلام ـ الطبعة السادسة عشرة ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ، ١٩٨٤ م ٠

٣٠ ـ الكاندهلوى ، محمد يوسف : حياة الصحابة ـ الجزء الرابع ـ بيروت ـ دار الفكر ، ١٩٧٤ م ٠

٣١ ـ النشار ، على : نشأة الدين ، النظريات التطورية والمؤلهة ـ دار نشر الثقافة بالاسكندرية ، ١٩٤٩ م ٠

٣٢ ـ الهاشمى ، طه : تاريخ الأديان وفلسفتها ـ بيروت ـ مكتبة الحيـاة ، ١٩٦٣ م ٠

٣٣ ـ اليوت ، ت ٠ س ٠ : ملاحظات نحو تعريف الثقافة ، ترجمة شكرى محمد عياد ـ القاهرة ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ـ بدون تاريخ ٠

٣٤ ـ حسن ، عبد الباسط : علم الاجتماع ـ المدخل ـ الجزء الأول القاهرة ـ مكتبة غريب ، ١٩٧٧ م ٠

٣٥ ـ حسن ، عبد الباسط : أصول البحث الاجتماعى ـ الطبعة التاسعة ـ القاهرة ـ مكتبة وهبة ، ١٩٨٥ م ٠

٣٦ ـ دسوقى ، كمال : الاجتماع ودراسة المجتمع ـ القاهرة ـ الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨ م ٠

٣٧ ـ رياض ، محمد : دراسة فى النوع والحضارة ، الطبعـة الثانية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٣ م ٠

٣٨ ـ سعفان ، حسن شحاتة : الدين والمجتمع ـ دراسات فى علم الاجتماع الدينى ـ مطبعة دار التأليف ، ١٩٥٨ م ٠

٣٩ ـ عزت ، عبد العزيز : أهم نظم الجماعات المتأخرة ـ القاهرة ـ مطبعة دار التأليف ، ١٩٥٧ م ٠

٤٠ ـ غيث ، محمد عاطف : قاموس علم الاجتماع ـ القـاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩ م ٠

٤١ ـ فخر الدين ، محمد الرازى : قصة السحر والسحرة فى ظلال القرآن الكريم ، حققه وقدم له وعلق عليه محمد ابراهيم سليم ، القاهرة ـ مكتبة القرآن ، ١٩٨٥ م ٠

٤٢ ـ مدبولى ، جلال : الاجتماع الثقافى ، الطبعـة الأولى ـ القـاهرة ، ١٩٧٩ م ٠

٤٣ ـ موسى ، محمد يوسف : الاسلام وحاجة الانسان ، الكويت ـ مكتبة الفلاح ، ١٩٧٨ م ٠

٤٤ ـ نصر ، صلاح : الحرب النفسية ، معركة الكلمة والمعتقد الجزء الثانى ، القاهرة ـ دار القاهرة للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ م ٠

٤٥ ـ وافى ، على عبد الواحد : التوتمية ، اشهر الديانات البدائية ـ القاهرة ـ دار المعارف ، ١٩٥٩ م ٠

٤٦ ـ وافى ، على عبد الواحد : الأسفار المقدسية فى الأديان ـ القاهرة ـ مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٤ م ٠

٤٧ ـ مجلة القاهرة ـ العدد ٧٨ (١٥ ديسمبر ١٩٨٧ م) ، القاهرة ـ الهيئة المصرية للكتاب ٠

٤٨ ـ مجلة المسلمون ـ العدد التاسع (١٦ رجب ١٤٠٥ هـ) ٠

ثالثا ـ المراجع الأجنبية :

1 — Cohen, Coffin; Foloklor From The working Follk of America . Anchor , Press, N. Y. 1974.

2 — E. Durkheim ; The Elementary Forms of Religious Life trans. By Joseph ward Swain, London 1957. Secondimpr.

3 — Everrett Rogers; Social change in reural Society Appleton Contary Cofts, 1960 .

4 — Frazer, J. G; The Golden Bough. A study in magic and Religion Macmillan, London 1960.

5 — Hammond, Peter ; An Introduction to Social and Cultoral Anthropology 3 ed . U. S. A. 1982.

6 — L. ch, Elwood; The Psychology of human Society, D. Appleton Co N. Y. 2 ed. 1972.

7 — Malinowski, Bronisslaw; Magic Science and Religion, Glencoe, The Free Press 1954.

8 — Margreat Mead ; Anthropoligest at Work University Press of Chicaga, First edition 1959.

9 — O. Dea, Thomas ; The Sociology of Religion Prentice Hal of India , New Delhi 1966.

10 — Rokeach Milton; Beliefs Attitudes and values, San Francisco. Jossey Bass inc. Publiser 1972.

11 — Sapir, Edward; Anthroplogie, Minuit Col, Points Paris, 1967 .

12 — Sorokin, Pitriin; Socid and Culture dynamics Amarican book Company vol 3, 1973.

13 — Tylor, E. B.; Brimitive Culture, 3 ed . London, 1971.

* * *

محتويات الكتاب

الصفحة

الأهـــــداء ٥

المقـــدمة ٧

الفصل لأول : ماهية السحر وآراء العلماء ١٣
آراء العلماء فى ماهية السحر ١٨
أسس التمايز بين السحر والدين فى رأى علماء الأنثربولوجيا
والاجتماع ٣٢

الفصل الثانى : تصنيفات السحر – سـحر رسمى ٣٨
سحر خاص ـ سحر نافع أو مفيد ٣٩
سحر أسود ـ سحر بواسطة التقليد ٤٠
السحر الشعبى ٤١
السحر الاتصالى ـ السحر الانتاجى ٤٢
السحر الوقائى ـ السحر الانتقامى أو العقابى ـ سحر طبيعى
أو مباشر ـ سحر غير مباشر أو شيطانى ـ السـحر فى
المجتمعات البدوية والريفية ٤٣
تصنيفات السحر عند المسلمين ٤٥

الفصل الثالث : ماهية الدين وآراء العلماء فى تفسير نشأته ٥٣
الاتـجاه الطبيعى ٥٧
الاتـجاه الحيوى الروحى ٦٢
الاتـجاه التوتمى ٦٥
المـــانا ٧١
الاتـجاه التكاملى الوظيفى ٧٨

الفصل الرابع : الأديان السماوية والسحر ٨٣
اليهودية والسحر ٨٣
المسيحية والســحر ٨٧
الاسلام والسحر ٨٩
السحر فى الشرع ـ حقيقة السحر ٩١

الصفحة

سحر اليهود للرسول صلى الله عليه وسلم ٩٢
حـــد الســـاحر ٩٦
علاج السحر فى الاسلام ـ علاج السحر بالقرآن والسنة .. ٩٧

الفصل الخامس : الاطار المنهجى للدراســة ١٠٢
اختيار عينــة المصادر ١٠٥
اختيار العينة الزمنية ـ اختيار عينة الوحدات ـ تحديد فئات
التحليل ـ اتجاه محتوى الاتصال ١٠٦
تحديد السمات ـ تحديد المكان الذىتصدر منه مادة الاتصال ـ
الوسيلة التى استخدمت فى مادة الاتصال ١٠٧

الفصل السادس : تحليلمضمون فيلمى «التعويذة» و «الانسوالجن» ١٠٨
تعريف الجان ١٠٨
استرضاء الجـان ١١٠
مادة الاتصال الأولى : فيلم « التعويذة » ١١٠
تعريف التعويذة ١١١
فيلم « التعويذة » ـ البناء الدرامى والاجتماعى للشخصيات ١١٣
النتائج المستخلصة ١٢٥
مادة الاتصال الثانية : فيلم « الانس والجن » ١٢٩
البناء الدرامى والاجتماعى للشخصيات ١٢٩
النتائج المستخلصة ١٤٠
نتائج عامة لمـادتى الاتصال ١٤٢

خـاتمة ١٤٤

أهم المراجـــع ١٤٥

محتويات الكتاب ١٥١

رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٨١٨٦

الترقيم دولى ٧ ـ ١٦٧ ـ ٣٠٧ ـ ٩٧٧

للمؤلـف

الإسلام والضبط الإجتماعى

رسالة دكتوراه بمرتبة الشرف الأولى

